اتباع الأثر عند الأئمة القراء وأدلته

دكتور

الصافى صلاح الصافى

المدرس بقسم القراءات، كلية القرآن الكريم بطنطا

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على من بعثه الله رحمة للعالمين، سيدنا ونبينا محمد النبى الأمى الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،

فقد أنزل الله القرآن الكريم على خاتم الأنبياء والمرسلين وجعله الآية الكبرى والمعجزة العظمى للعالمين، هدى به البشرية وأرشدها إلى الصراط المستقيم، فهو حبل الله المتين، ونوره المبين، والذكر الحكيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أجر، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

وكان من خصائص هذا الكتاب المبين أن تكفل الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[1]، وأنزله على سبعة أحرف توسعة ورحمة، حتى تسهل قراءته على أصحاب اللهجات المختلفة، ومن ثم تعددت قراءاته وتنوعت طرق أدائه ورواياته، ولم يخرج هذا التعدد والتنوع عن تلك الأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن الكريم، فكانت القراءات جزءاً من هذه الأحرف السبعة ؛ لأن من هذه الأحرف ما نسخ فى العرضة الأخيرة التى عارض فيها جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بالقرآن فى رمضان من السنة الأخيرة من حياته ﷺ.

هذا، وقد كان رسول الله ﷺ يتلقاه عن أمين الوحى جبريل عليه السلام كما أنزل عليه بجميع قراءاته، ويحرص كل الحرص على وعى ما يتلقاه حتى لا يتفلت منه شيء، ثم يبلغه إلى أمته، كما أنزل فور نزوله عليه ﷺ، فحفظه الصحابة الكرام فى صدورهم بجميع قراءاته

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

التى تلقوها عن رسول الله ﷺ وتلقاها هو عن أمين الوحى جبريل عليه السلام وحرصوا كل الحرص على نقل ما تلقوه كما أنزل تماماً لم يغيروا فيه شيئاً ولم يهملوا منه حرفاً ولا سكوناً ولا حركة.

وعن الصحابة الكرام أخذ قوم ممن جاءوا بعدهم على هذه الحالة أيضاً من الالتزام بالدقة والأمانة فى تلقى القرآن بجميع قراءاته التى أنزل بها، ومع مضى الزمان تفرق هؤلاء فى الأمصار وصاروا أئمة يؤخذ عنهم ويرحل إليهم فى هذا المجال، ثم قيض الله لهذه الأمة جماعة من الأئمة الأعلام تجردوا للقراءة وتصدوا للإقراء واشتهروا بنقل هذا العلم حتى أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءاتهم بالقبول، وأصبح لهم رواة ثقات ينقلون عنهم هذه القراءات، وهم الأئمة القراء العشرة الذين اعتمدوا فى نقل حروف القرآن على التلقى والمشافهة والأخذ بالسماع لعلمهم أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، وأن المعول عليه فى هذا الأمر إنما هو الرواية وصحة النقل.

ومن أجل توضيح هذا الأمر وتقريره والاستدلال على تمسك هؤلاء الأئمة الأعلام باتباع الأثر فى قراءاتهم وعدم تجاوزهم ما تلقوه عن شيوخهم، استعنت بالله تعالى فى كتابة هذا البحث، وقد سبقنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع فضيلة الأستاذ الدكتور / سامى هلال ـ عميد الكلية ـ وذلك فى كتابه " القراءات توقيفية لا اجتهادية "، وقد انتفعت به كثيراً فى بحثى هذا.

ولا أدعى هنا أننى قد استقصيت كل ما يمكن ذكره من أدلة فى هذه المسألة، وإنما أوردت جملة من أهم هذه الأدلة وأبرزها تحقق الغرض وتفى بالمراد.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة ؛ فقد تناولت فيها أهمية الموضوع ومنهج البحث فيه وخطته.

وأما التمهيد: فقد بينت فيه معنى الأثر، ثم عرفت القراءات وذكرت معنى نسبتها إلى الأئمة القراء.

وأما المباحث فقد رتبتها على النحو التالى:

المبحث الأول: مصدر القراءات والأصل فى اختلافها.

المبحث الثانى: الإسناد خصيصة من خصائص الأمة المحمدية.

المبحث الثالث: اتباع الأثر سمة من سمات التواتر.

المبحث الرابع: أدلة اتباع الأثر عند الأئمة القراء، وأوردت فيه سبعة أدلة.

الأول: اختصاص القراءة فى بعض الحروف بمواضع معيّنة دون نظائرها.

الثانى: اتفاق الأئمة القراء على قراءة واحدة فى الألفاظ المتحملة لقراءات متعددة.

الثالث: قراءة بعض الحروف بما يخالف صريح رسمها فى كل المصاحف العثمانية

الرابع: مخالفة الأئمة القراء ورواتهم مصاحف بلدانهم.

الخامس: مخالفة القراءة فى بعض الحروف للأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية.

السادس: مخالفة بعض الأئمة القراء مذاهبهم فى العربية فى بعض الحروف.

السابع: دلالة بعض القراءات على معان يوهم ظاهرها الإشكال.

وأما الخاتمة: ففيها أهم نتائج البحث.

والله تعالى أسأل أن يتقبل منى هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

التمهيد

وفيه معنى الأثر، وتعريف القراءات، ومعنى نسبتها إلى الأئمة القراء

أولاً: معنى الأثر

الأثر فى اللغة: بقيةُ الشيء، والجمع آثار وأُثور، وأَثَرَ الحديث عن القوم يَأْثُرُه ويَأْثِرُه أثْراً، وأَثَارَةً وأُثْرَةً: أنبأهم بما سُبِقوا فيه من الأثر، وقيل: حدّث به عنهم فى آثارهم، وأُثْرَةُ العلمِ وأَثَرته وأَثَارَتُه بقية منه تؤثرُ، أى: تروى وتذكر(١).

وله ثلاثة معان، الأول: بمعنى النتيجة، وهو الحاصل من شيء، والثانى: بمعنى العلامة، والثالث بمعنى الجزء(٢).

وفى الاصطلاح: فيه قولان، هما:

١- هو مرادفٌ للحديث، أى أن معناهما واحد، فيكون تعريفه بناء على ذلك كتعريف الحديث، وهو " ما أضيف إلى النبى ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة ".

٢- هو مغاير للحديث، يعنى أن المراد بالأثر غير المراد بالحديث، فيكون تعريف الأثر على هذا القول هو " ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال(٣).

ويطلق الأثر عند القراء على القراءة المرفوعة إلى النبى ﷺ المتواترة عن أئمة القراءة، قال حمزة(٤): ما قرأت حرفاً إلا بأثر(٥)، يعنى بسند متصل إلى النبى ﷺ(٦) لأن القراءة

---

(١) ينظر: لسان العرب لابن منظور (أ ث ر).

(٢) التعريفات للجرجانى: ٢٣.

(٣) ينظر: معجم المصطلحات الحديثية للدكتور / محمد الطحان وآخرين ١ / ٤.

(٤) هو حمزة بن حبيب الكوفى الزيات، أحد القراء السبعة، قرأ على الأعمش وحمران بن أعين وغيرهما، وقرأ عليه الكسائى وسليم بن عيسى وغيرهما، توفى سنة ست وخمسين ومائة (١٠٦هـ) ينظر: معرفة القراء الكبار للذهبى ١ / ٢٥٠ – ٢٦٥، وغاية النهاية لابن الجزرى ١/ ٢٦١ – ٢٦٣.

(٥) السبعة لابن مجاهد: ٧٥، ومعرفة القراء ١ / ٢٥٤.

(٦) ينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية للدكتور / عبد الباقى بن عبد الرحمن سيسي: ٢٣٧، ٢٣٨

سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، والأصل فيها التلقى والمشافهة عن الأئمة، فلا يتوصل إليها إلا بالنقل ولا تثبت إلا به، وهذا ما أجمع عليه المسلمون منذ الصدر الأول إلى يومنا هذا.

ثانياً: تعريف القراءات:

القراءات فى اللغة: جمع قراءة، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض فى الترتيل(١).

وفى الاصطلاح: ذكر لها العلماء عدة تعريفات، منها:

١- أنها علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزواً لناقله(٢).

٢- اختلاف ألفاظ الوحى فى كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما(٣).

٣- أن القراءات علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله واختلافهم فى اللغة والإعراب والحذف والإثبات والتحريك والإسكان، والفصل والاتصال، وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال من حيث السماع(٤).

وبالتأمل فى هذه التعريفات نرى أن أضبطها هو التعريف الأول، لإخراجه العلوم الأخرى كالتفسير والنحو وغيرهما ونصه على الأداء ومواضع الاتفاق والاختلاف وعزو ذلك إلى ناقله.

أما التعريف الثانى، فقد أدخل الكتابة مع علم القراءات، والكتابة تتعلق بعلم الرسم والضبط، ومن ثم فهو ليس بمانع.

وكذا التعريف الثالث فهو وإن نص على النقل ومواضع الاتفاق والاختلاف فى علم

---

(١) معجم مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانى (ق ر أ). وينظر: لسان العرب، المادة نفسها.

(٢) منجد المقرئين لابن الجزرى: ٦١.

(٣) البرهان للزركشى ١ / ٣١٨.

(٤) لطائف الإشارات للقسطلانى ١ / ١٧٠، وإتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطى: ٦.

القراءات، إلا أنه أدخل معه غيره من العلوم كعلوم الرسم والضبط واللغة، فهو أيضاً ليس بمانع.

وللقراءات علاقة وثيقة بالقرآن، هى علاقة الجزء بالكل، إذ القراءات أبعاض للقرآن وهو كل لها، وما الفرق بينهما إلا الفرق بين الكل وأجزائه(١).

(١) ينظر: القراءات أحكامها ومصدرها للدكتور / شعبان محمد إسماعيل: ٢١.

قلت: وإن كان البعض قد ذهب إلى أنهما حقيقتان متغايرتان من حيث إن القرآن هو الوحى المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى كتبة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما، إلا أن هذا القول فيه نظر لأن القراءات التى تواترت والتى تلقتها الأمة بالقبول ما هى إلا أجزاء للقرآن الكريم كما ذكرنا، ومن ثم فلا يصح القول بالتغاير التام بينهما. ينظر البرهان للزركشي ١ / ٣١٨.

ثالثاً: معنى نسبة القراءة إلى الأئمة القراء:

الأصل فى نقل القراءات القرآنية أن ترويها أمة عن أمة فى كل مصر وفى كل عصر، فلا يكتفى فيها بنقل الواحد ولا الاثنين ولا الثلاثة حتى تكون الأحرف المنقولة معلومة مشهورة لدى عامة القراء.

ثم إن الاعتماد فى هذا النقل على الحفاظ لا على المصاحف والكتب، ولذلك حين أرسل عثمان ﷺ المصاحف إلى الأمصار أرسل كل مصحف مع من يوافق قراءته فى الأكثر الأغلب، وقرأ كل مصر بما فى مصحفهم، وتلقوا ما فيه من الصحابة الذين تلقوه عن النبى ﷺ.

ثم تجرد قوم للقراءة والأخذ واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية، حتى صاروا فى ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم، أجمع أهل بلدهم على تلقى قراءتهم بالقبول ولم يختلف عليهم فيها اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم(١).

فنسبة القراءات المروية إلى أحد الأئمة كقولهم: قراءة نافع(٢) وقراءة ابن كثير(٣) إنما هى نسبة اختيار لا نسبة اقتصار، بمعنى أن تلك الحروف التى رواها نافع لم ينفرد بروايتها والإقراء بها دون غيره من القراء، وخاصة من أهل بلده المدينة النبوية، بل شاركه غيره من القراء فى روايتها والإقراء بها، واشتهرت عندهم، وربما تكون قد بلغت

(١) النشر لابن الجزرى ١ / ١٤، وينظر: مناهل العرفان للزرقانى ١ / ٤١٤.

(٢) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبى نعيم المدنى، أحد القراء السبعة، عرض القراءة على عبد الرحمن بن هرمز الأعرج وأبى جعفر القارئ وغيرهما، وروى القراءة عنه عرضاً وسماعاً قالون وورش وغيرهما، توفى سنة تسع وستين ومائة (١٦٩هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ٢٤١ – ٢٤٧، وغاية النهاية ٢ / ٣٣٠-٣٣٤.

(٣) هو عبد الله بن كثير بن عمرو المكى الدارى، أحد القراء السبعة، عرض القراءة على عبد الله ابن السائب ودرباس مولى ابن عباس وغيرهما، وروى القراءة عنه إسماعيل القسط وإسماعيل بن سليم وغيرهما، توفى سنة عشرين ومائة (١٢٠هـ) ينظر: معرفة القراء ١ / ١٢١ – ١٢٣، وغاية النهاية ١ / ٤٤٢، ٤٤٣.

بعضهم ونقلوها عن شيوخهم ولم يقرئوا بها لكنها معلومة لديهم، فنسبتها إلى نافع دون غيره إنما لكونه اشتهر بها وبضبطها، ولازم القراءة والإقراء بها أكثر من غيره، وكذلك القول فى بقية القراء، والأمر فى ذلك ليس بدعة، ففى عهد الصحابة كان هناك من يقرأ بحرف أبى(١) وحرف ابن مسعود(٢) وغيره(٣).

قال أبو عمرو الدانى(٤): إن معنى إضافة كل حرف مما أنزل الله تعالى إلى من أضيف إليه من الصحابة كأبى وعبد الله وزيد(٥) وغيرهم من قبل أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراء به وملازمة له وميلاً إليه لا غير ذلك، وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة وآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ عنه، فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام لا إضافة

(١) هو أبى بن كعب بن قيس الأنصارى الخزرجى، أقرأ هذه الأمة، عرض على النبى ﷺ وأخذ عنه جمع من الصحابة والتابعين، شهد بدراً والمشاهد كلها، توفى نحو سنة اثنتين وعشرين (٢٢هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ١٠٩ – ١١٣، والإصابة لابن حجر العسقلانى ١ / ٢٧.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلى المكى، ابن أم عبد، أحد السابقين الأول، كان يفتخر وحق له يقول: " حفظت القرآن من فىّ رسول الله ﷺ سبعين سورة " قرأ عليه أبو عبد الرحمن السلمى وطائفة، توفى سنة اثنتين وثلاثين (٣٢هـ). ينظر: أسد الغابة لابن الأثير ٣/ ٣٨٤ – ٣٩٠، ومعرفة القراء ١ / ١١٣ – ١١٨.

(٣) القراءات الشاذة، دراسة لنِشأتها ومعاييرها، للأستاذ الدكتور / سامى عبد الفتاح هلال: ٦٧.

(٤) هو عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الدانى، قرأ على أبى الفتح فارس بن أحمد وأبى الحسن طاهر بن غلبون وغيرهما، وقرأ عليه خلف بن محمد الأنصارى، وأبو داود سليمان بن نجاح وغيرهما، من مؤلفاته: جامع البيان والتيسير فى القراءات السبع، توفى سنة أربع وأربعين وأربعمائة (٤٤٤هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ٧٧ – ٨٣، وغاية النهاية ١ / ٥٠٣ – ٥٠٥.

(٥) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصارى الخزرجى المقرئ، كاتب النبى ﷺ وأمينه على الوحى، أخذ القراءة عن النبى ﷺ وتصدر للأداء، قرأ عليه ابن عباس وغيره، توفى سنة خمس وأربعين (٤٥هـ). ينظر: معرفة القراء الكبار ١ / ١١٨ – ١٢١، وغاية النهاية ١ / ٢٩٦.

اختراع ورأى واجتهاد[1].

قلت: وقد ذكر ابن الجزرى[2] هذا الكلام بنصه فى النشر[3].

(١) جامع البيان له ١ / ١٢٩، ١٣٠.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن على بن يوسف بن الجزرى، قرأ على محمد بن اللبان ومحمد ابن الصائغ وغيرهما، وقرأ عليه كثيرون منهم محمد بن الدباغ وطاهر بن عبد العزيز الأصبهانى، من مؤلفاته النشر وتقريبه وطيبته وغاية النهاية، توفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (٨٣٣هـ) ينظر: غاية النهاية ٢ / ٢٤٧ - ٢٥١.

(٣) ١ / ٤٧.

المبحث الأول

مصدر القراءات والأصل فى اختلافها

بداية أقول إنه من المجمع عليه أن القرآن الكريم وحى أوحاه الحق تبارك وتعالى إلى نبينا محمد ﷺ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴾[1]، وكانت مهمة جبريل عليه السلام النزول به إلى النبي ﷺ وتعليمه إياه، ومهمة الرسول ﷺ تبليغه للناس امتثالاً لأمر الله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[2]، مع ملاحظة أنه ليس للرسول ﷺ أن يبدل حرفاً بآخر، أو يغير كلمة مكان أخرى، وهذا من المسلمات، ومن الأمور المجمع عليها فى الأمة الإسلامية، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴾[5].

وإذا كان الرسول ﷺ لا يستطيع أن يبدل حرفاً بحرف أو كلمة بكلمة فغيره من باب أولى، وإذا كانت القراءات جزءًا من القرآن الكريم فهى كذلك من عند الله عز وجل،

---

(١) سورة الشعراء، الآيات ١٩٢ – ١٩٥.

(٢) سورة المائدة، من الآية: ٦٧.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٥.

(٤) سورة الحاقة، الآيات: ٤٤ – ٤٦.

(٥) سورة النجم، الآيات: ٣-٥.

ومنزلة وحياً منه تبارك وتعالى(١).

هذا وقد بلغ من عناية الرسول ﷺ وصحابته الكرام بالقرآن الكريم واهتمامهم به أنهم لم يكتفوا بحفظه فى الصدور وعلى صفحات القلوب، وإنما جمعوا إلى الحفظ الكتابة فى الرقاع والعسب والأكتاف ونحوها، وبذلك اجتمع للقرآن الوجودان: الوجود فى الأذهان والصدور، والوجود فى الكتابة والسطور.

لكن كان المعول عليه الأول فى حفظ القرآن إنما هو التلقى الشفاهى والأخذ بالسماع لا الأخذ من الصحف والرقاع، فقد تلقى النبى ﷺ عن أمين الوحى جبريل عليه السلام وعن النبى تلقى الكثير من الصحابة النجباء العدول الضابطين الأمناء، وعن الصحابة تلقى الكثير من التابعين الفضلاء، وهكذا نقله العدد الكثير عن مثله حتى وصل إلينا كما أنزل من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل ولا تحريف، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**(٢)﴾(٣).

ومن المعروف أن الحق سبحانه وتعالى أنزل القرآن على سبعة أحرف، وقد نصت على ذلك أحاديث كثيرة، منها:

١- ما روى عن ابن عباس(٤) ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: (قال رسول الله ﷺ " أقرأنى جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدنى حتى انتهى إلى سبعة أحرف)(٥).

---

(١) صفحات فى علوم القراءات للدكتور / عبد القيوم السندى ١١٩ – ١٢١ بتصرف.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩.

(٣) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، للشيخ / محمد أبو شهبة ٣٨٦.

(٤) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ترجمان القرآن، ابن عم رسول الله ﷺ سمع من رسول الله ﷺ، وقرأ على أبى بن كعب وزيد وغيرهما، وقرأ عليه مجاهد والأعرج وغيرهما، توفى سنة ثمان وستين (٦٨هـ) ينظر: أسد الغابة ٣/ ٢٩٠–٢٩٤، ومعرفة القراء ١/ ١٢٩– ١٣١.

(٥) متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه ٣ / ٣٤٥، كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب أنزل القرآن على=

٢- ما روى عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان فى حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره فى الصلاة، فتصبرت حتى سلم، فلببته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، فقلت: كذبت، فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إنى سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله ﷺ " أرسله. اقرأ يا هشام " فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ " كذلك أنزلت " ثم قال: " اقرأ يا عمر " فقرأت القراءة التى أقرأنى فقال رسول الله ﷺ " كذلك أنزلت إن هذا القرأن أنزل على سبعة أحرف، فاقرءوا ما تيسر منه "(١).

وغير ذلك من الأحاديث الصحيحة التى تدل على أن القرآن نزل على سبعة أحرف، وهذه الأحرف متمثلة فى القراءات القرآنية التى نقلت إلينا نقلاً صحيحاً متواتراً عن رسول الله ﷺ.

ثم إن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قد اختلف أخذهم عن رسول الله ﷺ، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، ثم تفرقوا فى البلاد، وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابع التابعين عن التابعين، وهلم جراً حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة

=سبعة أحرف (٥) حديث (٤٩٩١)، وأخرجه مسلم فى صحيحه ٣ / ٣٢٥، كتاب صلاة المسافر (٦) باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٤٨)، حديث (٨١٩).

(١) متفق عليه أخرجه البخارى فى صحيحه ٣ / ٣٤٥، كتاب فضائل القرآن (٦٦)، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف(٥)، حديث (٤٩٩٢)، واللفظ له، وأخرجه مسلم فى صحيحه٣/ ٣٢٤،٣٢٥، كتاب صلاة المسافر (٦)، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف (٤٨)، حديث (٨١٨)

القراء المشهورين الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها(١).

قال الدانى: ووجه هذا الاختلاف فى القرآن أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام فى كل عام عرضة، فلما كان فى العام الذى توفى فيه عرض عليه عرضتين، فكان جبريل عليه السلام يأخذ عليه فى كل عرضة بوجه وقراءة من هذه الأوجه والقراءات المختلفة، ولذلك قال ﷺ " إن القرآن أنزل عليها وإنها كلها شاف كاف "(٢) وأباح لأمته القراءة بما شاءت منها.

ولم يلزم أمته حفظها كلها ولا القراءة بأجمعها، بل هى مخيرة فى القراءة بأى حرف شاءت منها كتخييرها إذا هى حنثت فى يمين وهى موسرة بأن تكفر بأى الكفارات إن شاءت إما بعتق وإما بإطعام وإما بكسوة، وكذلك المأمور فى الفدية بالصيام أو الصدقة أو النسك، أىّ ذلك فعل، فقد أدى ما عليه وسقط عنه فرض غيره، وكذلك أمروا بحفظ القرآن وتلاوته، ثم خُيِّروا فى قراءته بأىّ الأحرف السبعة شاؤوا إذا كان معلوماً أنهم لم يلزموا استيعاب جميعها دون أن يقتصروا منها على حرف واحد، بل قيل لهم: أىّ ذلك قرأتم أصبتم(٣).

ونخلص مما سبق إلى أن القراءات القرآنية وحى منزل من الحق تبارك وتعالى، كما أن القرآن الكريم كذلك، وأنها نشأت بتعليم جبريل للرسول ﷺ، فقد علمه القرآن بأحرفه المختلفة وقراءاته المتعددة، وعن الرسول ﷺ أخذه الصحابة الكرام على هذه الحال من اختلاف الأحرف وتعدد القراءات، وكذلك أخذ عن الصحابة التابعون، وعن التابعين أخذ تابع التابعين، وهكذا نقل القرآن الكريم بقراءاته الثابتة نقلاً صحيحاً متواتراً كما أنزل على سيدنا رسول الله ﷺ.

---

(١) مناهل العرفان ١ / ٤١٣، والقراءات أحكامها ومصدرها: ٤٦.
(٢) الحديث فى مسند الإمام أحمد ٥ / ٥١.
(٣) جامع البيان فى القراءات السبع ١ / ١١٩، ١٢٠ بتصرف يسير.

المبحث الثانى

الإسناد خصيصة من خصائص الأمة المحمدية

المراد بالإسناد هنا: الطريق الموصلة إلى القرآن الكريم بالنقل الصحيح المتواتر إلى رسول الله ﷺ(١).

وقد بينا فيما سبق أن الاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ الكتب والسطور، ونقرر هنا أن هذه أشرف خصيصة من الله تعالى للأمة المحمدية الموصوفة بأن أناجليهم فى صدورهم، بخلاف غيرها من الأمم التى لا تقرأ كتبها إلا نظراً فى المكتوب لا عن ظهر قلب.

ومما ينبغى أن نؤكد عليه هنا أن القراءات سنة متبعة، ونقل محض، فلابد من إثباتها وصحتها، ولا طريق إلى ذلك إلا بالإسناد الصحيح المتواتر عن سيدنا رسول الله ﷺ(٢).

وفى تفضيل هذه الأمة بالإسناد روى عن محمد بن حاتم بن المظفر أنه قال: إن الله تعالى قد أكرم هذه الأمة وشرّفها وفضّلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمها وحديثها إسناد، إنما هو صحف فى أيديهم، وقد خلطوا بكتبهم أخبارهم التى أخذوها عن غير الثقات، بخلاف هذه الأمة، فإنها تنص عن الثقة المعروف فى زمانه، المشهور بالصدق عن مثله حتى تتناهى أخبارهم(٣).

وكلامه فى ذلك حق وصواب، فإننا إذا نظرنا فى حال القرآن الكريم وغيره من الكتب السماوية وجدنا أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذى كلف الله عز وجل الأمة بحفظه كله، بحيث يحفظه عدد كثير فى كل طبقة من الطبقات، يثبت به التواتر الذى يفيد القطع واليقين، وإلا أثمت الأمة كلها، بخلاف التوراة والإنجيل وغيرهما من

(١) ينظر: لطائف الإشارات ١ / ١٧٣، والقراءات أحكامها ومصدرها: ٧٣.

(٢) ينظر السابقان نفسهما.

(٣) ينظر السابقان نفسهما.

الكتب المنزلة، إذ لم تكلف الأمم السابقة بحفظها عن ظهر قلب كما كلفت الأمة الإسلامية بحفظ القرآن، بل كان هذا الأمر بالتخيير، فمن شاء حفظ، ومن شاء اعتمد فى القراءة على المكتوب، وهذا الأخير هو الأعم الأغلب من شأن بنى إسرائيل وغيرهم، ولم تتوفر الدواعى لحفظ هذه الكتب والصحف، كما توفرت للقرآن الكريم، ومن ثم سهل فيها التحريف والتبديل، ولم يكن لها من ثبوت النص القطعى الموثوق به مثل ما للقرآن العظيم(١).

ونشير هنا إلى أن المقصود بحفظ القرآن الكريم فى الكلام السابق أن يكون نصه ـ كما أُنزل ـ مستظهَراً فى قلوب الأمة المحمدية، ومعنى استظهار القرآن: حفظه عن ظهر قلب، بحيث يقرؤه المستظهر دون تطلع فى المصحف أو تلقين، ونظراً إلى أن النص القرآنى مُنْزَل من عند الله تعالى، فإنه لم يكن متاحاً للاستظهار إلا بتلقيه عن البشرىّ الوحيد الذى أنزل عليه القرآن ليبلغه إلى سائر البشر وهو محمد ﷺ(٢).

ولعل من المناسب هنا أن نذكر طرق التحمل فى القرآن الكريم، وهى:

١- السماع من الشيخ ثم العرض عليه، وهو تلاوة القرآن عن ظهر قلب أمام من يحفظ القرآن ويضبطه ضبطاً متقناً، وذلك بمعرفة أوجه القراءة فى الآية وحروف الخلاف، ثم يعرض القرآن على شيخه، ويسمى هذا التحمل رواية وتلاوة.

٢- العرض على الشيخ، وهو أن يعرض القرآن على شيخه بالرواية أو القراءة التى يريدها والشيخ يعي ما يسمع.

٣- السماع من الشيخ، وهو أن يسمع من شيخه أحرف الخلاف وأوجه القراءات، ويسمى هذا التحمل سماعاً.

٤- الإجازة من الشيخ،وهى الإذن من الشيخ لمن قرأ عليه أن يقرأ ويقرئ غيره(٣).

---

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٣٨٩.

(٢) وثاقة نقل النص القرآنى من رسول الله ﷺ إلى أمته، لأستاذنا الدكتور / محمد حسن جبل، ص: ١٢.

(٣) القراءات توقيفية لا اجتهادية. لأستاذنا الدكتور / سامى هلال، ١٣٤، ١٣٥.

المبحث الثالث

اتباع الأثر سمة من سمات التواتر

من المعلوم أنه لم يحظ كتاب من الكتب ولا سيما السماوية منها بمثل ما حظى به القرآن الكريم من العناية ووثاقة النقل، ولم يسلم كتاب من التبديل والتحريف غير القرآن الكريم، فلم نر على مر العصور كتاباً ثبت جملة وتفصيلاً بالتواتر الذى يفيد القطع واليقين مثل القرآن الكريم، ولم نر أمة من الأمم أجمعت على أنه لايقرأ بحرف من كتابها ولا يحكم بثبوته وصحته إلا إذا تحقق فى نقله التواتر مثل ما عرف ذلك للأمة الإسلامية فى نقل القرآن الكريم.

ومن المسلمات أن التواتر لا يتحقق إلا برواية عدد كبير فى كل طبقة من الطبقات يحصل بروايتهم اليقين، ولا يكون ذلك إلا عن طريق التلقى والمشافهة والأخذ بالسماع، وقد رشدت الأمة باتباعها هذا المنهج فى نقل القرآن الكريم حتى صار سنة ولا سيما فى القراءات الصحيحة التى أجمعت الأمة عليها دون غيرها.

ومن ثم كان اعتماد الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فى حفظ القرآن على التلقى والسماع من النبى ﷺ أو ممن سمعه من النبى من الصحابة، وما كانوا يعتمدون فى حفظه على المكتوب فى عهد النبى ﷺ ولا على النقل من الصحف والمصاحف بعد كتابتها وإنما كان اعتمادهم على التلقى الشفاهى أو العرض(١).

وعلى هذه الحال من الاعتماد فى نقل القرآن الكريم على التلقى عرضاً وسماعاً تربى على يد الصحابة الكرام جيل من التابعين أخذوا عنهم القراءة، فكان كل تابعى يحفظ القرآن الكريم على طريقة شيخه من الصحابة، وانتشر هؤلاء فى المدن والأمصار، غير أنهم لم يكونوا متجردين لمهمة الإقراء، بل كانوا مشغولين بالإفتاء والتفسير والجهاد وغير

(١) ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٣٩٣، وقواعد نقد القراءات: ٩٩.

ذلك، إلى أن جاء قوم بعدهم تجردوا للإقراء واعتنوا بضبط القراءة، وأصبحوا فى هذا المجال أئمة يرحل إليهم ويؤخذ عنهم، منهم القراء العشرة، هؤلاء الأئمة الذين اتبعوا فى قراءتهم الأثر والتزموا بما تلقوه من شيوخهم وأقرأوا الناس بما ثبت نقله(١).

وهكذا كان طريق أخذ القراءة أن يأخذها الآخر عن الأول إلى أن يتصل بالنبى ﷺ، ولهذا قالوا: إن القراءة التى عليها الناس بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام هى القراءة التى تلقوها عن أوليهم تلقياً، وقام بها فى كل مصر من هذه الأمصار رجل ممن أخذ عن التابعين، أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه(٢).

هذا وقد ورد الكثير من النصوص المتظاهرة التى تدل دلالة واضحة على وجوب اتباع الأثر فى القراءة، وتقرر أن الأصل فى القراءة إنما هو الاعتماد على النقل فلا يتوصل إليها إلا به، وتثبت أن القراءة سنة متبعة لا تجوز مخالفتها.

فعن زيد بن ثابت: القراءة سنة، فاقرءوه كما تجدونه(٣).

وعن عبد الله بن مسعود: إنى سمعت القَرَأَةَ فرأيتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم، وإياكم والتنطع والاختلاف(٤).

وعنه أيضاً: اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم(٥).

---

(١) ينظر: القراءات الشاذة، دراسة لنشأتها ومعاييرها، للأستاذ الدكتور / سامى هلال: ١٠٣.

(٢) القراءة بين التواتر وصحة الإسناد، دراسة تحليلية للدكتور / محمد مصطفى علوة: ١٠٩ نقلاً عن السبعة: ٤٩.

(٣) السبعة: ٥٠، وجامع البيان للدانى ١ / ١٤٠.

(٤) السبعة: ٤٧، ونحوه فى جامع البيان للدانى ١ / ١٣٥.

(٥) السبعة: ٤٦، وجامع البيان للدانى ١/ ١٣٤، ١٣٥.

وعنه أيضاً: أنه قرأ ﴿هَيْتَ لَكَ﴾[1] فقيل له: (هِئْتُ لك) فقال ﷺ: إنما نقرؤها كما عُلِّمناها[2].

وعن حذيفة بن اليمان[3]: اتقوا الله معشر القراء وخذوا طريق من كان قبلكم، فوالله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقاً بعيداً، ولئن تركتموهم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً[4].

(١) سورة يوسف، من الآية: ٢٣.

(٢) جامع البيان للدانى ١ / ١٣٨، ١٣٩.

(٣) هو حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله العبسى، صحابى مشهور، وردت الرواية عنه فى حروف القرآن، وهو الذى أشار على عثمان بجمع الأمة على مصحف واحد، توفى سنة ست وثلاثين (٣٦هـ). ينظر: غاية النهاية ١ / ٢٠٣.

(٤) السبعة: ٤٦، وجامع البيان للدانى ١ / ١٤٧.

وعن عروة بن الزبير[1]: إنما قراءة القرآن سنة من السنن، فاقرءوه كما علمتموه[2]، وفى رواية: كما أقرئتموه[3].

وعن عامر الشعبى[4]: القراءة سنة فاقرءوا كما قرأ أوّلوكم[5].

وعن محمد بن المنكدر[6]: القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول[7].

وقال بعض أصحاب سليم[8]: قلت لسليم فى حرف من القرآن: من أى وجه كان كذا وكذا ؟ فرفع كمه وضربنى به وغضب، وقال: اتق الله لا تأخذن فى شيء من هذا، إنما نقرأ القرآن على الثقات من الرجال الذين قرأوا على الثقات[9].

ولأن القراءة سنة متبعة رأينا أكثر الأئمة القراء يصرح باتباعه الأثر فى قراءته والتزامه

---

(١) هو عروة بن الزبير بن العوام أبو عبد الله المدنى، وردت الرواية عنه فى حروف القرآن، روى عن أبويه وعائشة، وعنه أولاده وجماعة، توفى سنة أربع وتسعين (٩٤هـ) على خلاف، ينظر: غاية النهاية ١ / ٥١١.

(٢) السبعة: ٥٢.

(٣) السابق نفسه، وجامع البيان للدانى ١ / ١٤٢، ١٤٣.

(٤) هو عامر بن شراحيل، أبو عمر الشعبى الكوفى المشهور، عرض على أبى عبد الرحمن السلمى وغيره، وعرض عليه محمد بن أبى ليلى، ومناقبة أشهر من أن تذكر، توفى سنة خمس ومائة (١٠٥هـ)، ينظر: غاية النهاية ١ / ٣٥٠.

(٥) السبعة: ٥١، وجامع البيان للدانى ١/ ١٤٤.

(٦) هو محمد بن المنكدر بن عبد الله القرشى المدنى، زاهد من رجال الحديث، أدرك بعض الصحابة، وروى عنهم، له نحو مائتى حديث، وصف بأنه من معادن الصدق، توفى سنة ثلاثين ومائة (١٣٠هـ) ينظر: تهذيب الكمال للمزى ٣/ ١٢٧٦، والأعلام ٧/ ١١٢.

(٧) السبعة: ٥٠، وجامع البيان للدانى ١ / ١٤١.

(٨) هو سليم بن عيسى بن سليم الكوفى المقرئ، صاحب حمزة الزيات، وأحذق تلامذته بالقراءة، قرأ عليه خلف بن هشام البزار وغيره، توفى سنة ثمان وثمانين ومائة (١٨٨هـ) ينظر: معرفة القراء ٥ / ٣٠٥-٣٠٧، وغاية النهاية ١ / ٣١٨، ٣١٩.

(٩) جمال القراء ٢ / ٥٧٧، ٥٧٨.

بما رواه عن شيوخه.

قال حمزة: ما قرأت حرفاً قط إلا بأثر(١).

وقال أبو عمرو(٢): لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا(٣).

وسئل رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ﴾(٤) فى موضع، وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾(٥) فى موضع، أيعرف هذا ؟(٦)، فقال: ما يُعرف إلا أن يسمع من المشايخ الأولين، وقال: إنما نحن فيمن مضى كبقل فى أصول نخلٍ طُوال(٧).

وقال الكسائى(٨): لو قرأت على قياس العربية لقرأت ﴿كِبْرَهُۥ﴾(٩) برفع الكاف؛ لأنه أراد عُظْمه ولكنى قرأت على الأثر(١٠).

لقد حرص هؤلاء الأئمة على اتباع أثر السابقين فى القراءة، وتحرزوا فى نقل القراءات

---

(١) السبعة: ٧٥، ومعرفة القراء ١ / ٢٥٤.

(٢) هو زبان بن العلاء بن عمار المازنى البصرى، أحد القراء السبعة وأكثرهم شيوخاً، قرأ على الحسن البصرى وغيره، روى القراءة عنه يحيى اليزيدى، وغيره، توفى سنة أربع وخمسين ومائة (١٥٤هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ٢٢٣ – ٢٣٧، وغاية النهاية ١ / ٢٨٨ – ٢٩٢.

(٣) السبعة: ٨٢، والنشر ١ / ٢١.

(٤) سورة الصافات، من الآية: ١١٣.

(٥) سورة الصافات، من الآية: ١٠٨.

(٦) يعنى أن صورتهما فى المصحف واحدة.

(٧) السبعة ٤٨.

(٨) هو على بن حمزة بن عبد الله الكسائى النحوى الكوفى، أحد القراء السبعة، قرأ على حمزة الزيات وغيره، وقرأ عليه حفص الدورى وغيره، توفى سنة تسع وثمانين ومائة (١٨٩هـ)، ينظر: معرفة القراء ١ / ٢٩٦ – ٣٠٥، وغاية النهاية ١ / ٥٣٥ – ٥٤٠.

(٩) سورة النور، من الآية: ١١.

(١٠) جامع البيان للدانى ١ / ١٥٠، وجمال القراء ٢ / ٥٧٨.

عما لا تتم الثقة بروايته، فلا تقبل قراءة إلا إذا تواتر نقلها عن الثقات المشهورين بصحة النقل وإتقان الحفظ المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فلا مجال هنا لرأى ولا اجتهاد، وقد شهد بذلك جماعة من العلماء.

قال صاحب السبعة: فهؤلاء ـ يريد القراء السبعة ـ سبعة نفر من أهل العراق والحجاز والشام، خلفوا فى القراءة التابعين، وأجمعت على قراءتهم العوام[1] من أهل كل مصر من هذه الأمصار التى سميت وغيرها من البلدان التى تقرب من هذه الأمصار... ولا ينبغى لذى لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزاً فى العربية، أو مما قرأ به قارئ غير مجمع عليه[2].

وقال ابن خالويه[3]: إنى تدبرت قراءة الأئمة السبعة من أهل الأمصار الخمسة المعروفين بصحة النقل وإتقان الحفظ المأمونين على تأدية الرواية واللفظ، فرأيت كلاً منهم قد ذهب فى إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يدفع، وقصد من القياس وجهاً لا يمنع، فوافق باللفظ والحكاية طريق النقل والرواية غير مؤثر للاختيار على واجب الآثار[4].

وقال الدانى: وأئمة القراءة لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل، والرواية إذا ثبتت لا

(١) المراد: عامة القراء.

(٢) السبعة: ٨٧ بتصرف.

(٣) هو الحسين بن أحمد بن خالويه أبو عبد الله النحوى اللغوى، عرض القراءات على أبى بكر بن مجاهد وغيره، وأخذ النحو واللغة عن نفطويه وغيره، عرض عليه القراءات أبو على الحسين بن على الرهاوى، توفى سنة سبعين وثلاثمائة (٣٧٠هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٥ / ٢٧٢، وغاية النهاية ١ / ٢٣٧.

(٤) الحجة له ٦١، ٦٢.

يردها قياس عربية ولا فشو لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها(١).

وقال السخاوى(٢): فهو ـ يعنى القرآن ـ منقول نقلاً عذباً كما تحمّل من غير زيادة ولا نقصان، ولا ميل إلى اختيار واستحسان كما زعمت الرافضة أن غُيِّر وبُدِّل، وكذّبَ الله أحاديثهم، وكما ظن النحاة الذين لا معرفة لهم بالآثار ولا أنسة لهم بطريق أهلها أن القراءة جائزة بما يجوز فى العربية وأن الأئمة قرأوا بالاختيار(٣).

وقال أيضاً: والقراءة لا يتوصل إليها إلا بالنقل، ولا مدخل فيها للرأى، ولم يذهب إلى هذه البدعة إلا أحد رجلين: نحوى لا معرفة له بالآثار وبأحوال الصدر الأول وحمايتهم وذبهم واهتمامهم، أو رجل غلبت عليه المقاييس والآراء، واستحوذ عليه هواه(٤).

والأقوال الواردة عن العلماء بهذا المعنى كثيرة، وكلها تدل على أنه لم يقرأ أحد من الأئمة إلا بما صح وثبت نقله عن النبى ﷺ وأنهم التزموا فى قراءاتهم بما تلقوه وما اتبعوا فيها إلا الأثر، ولا تزال هذه السنة فى نقل القرآن الكريم بقراءاته المتواترة متبعة، وستبقى بإذن الله كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ**﴾(٥).

---

(١) جامع البيان له ٢ / ٨٦٠، وينظر: دفع المطاعن عن قراءات الإمام ابن عامر، للأستاذ الدكتور / سامى هلال، ص ٨٠ وما بعدها.

(٢) هو على بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوى، شيخ الإقراء بدمشق، قرأ على أبى القاسم الشاطبى وغيره، وقرأ عليه شهاب الدين أبو شامة وغيره، توفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة (٦٤٣ هـ). ينظر: معرفة القراء ٣/ ١٢٤٥ – ١٢٥١، وغاية النهاية ١ / ٥٦٨ – ٥٧١.

(٣) فتح الوصيد ١ / ١١٣.

(٤) فتح الوصيد ١ / ١٢١.

(٥) سورة الحجر، آية ٩.

المبحث الرابع

أدلة اتباع الأثر عند الأئمة القراء

الدليل الأول: اختصاص القراءة فى بعض الحروف بمواضع معينة دون نظائرها:

قررنا فيما سبق أن القراءات سنة متبعة وأن الأصل فيها إنما هو النقل والرواية ضرورة كونها منزلة من الله عز وجل، فلا تكون إلا بما ثبتت روايته عن النبى ﷺ ولا مجال فيها للاجتهاد أو القياس، وسقنا من الاستشهادات وكلام العلماء ما يؤيد هذه الحقيقة، ونقول هنا:

إن الناظر فيما تواتر من قراءات الأئمة العشرة يرى صدق ذلك، فكثيراً ما نجد حروفاً قد تكررت فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم، ورسمت بطريقة واحدة فى جميع مواضعها، ومع ذلك لم يتفق القراء على قراءتها بصورة واحدة فى هذه المواضع جميعها رغم تكرر هذه الحروف بعينها واتحاد رسمها فى سائر مواضعها، وإنما وردت فى بعض هذه المواضع قراءات ثابتة اختلف فيها القراء وتعددت فيها قراءاتهم، وفى البعض الآخر من هذه المواضع اتفق القراء على القراءة بوجه واحد وإن كان الرسم يحتمل غير ذلك، إلا أن الاعتماد ـ كما ذكرنا غير مرة ـ إنما هو على ما صح نقله وثبتت روايته، وهاك بعض الأمثلة على ذلك:

١ – لفظ " صاعقة "

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم معرفاً ومنكراً فى ستة مواضع:

الأول: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾(١).

الثانى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، من الآية: ٥٥.

(٢) سورة النساء، من الآية: ١٥٣.

الثالث والرابع: ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾(١).

الخامس: ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ﴾(٢).

السادس: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾(٣).

وقد اتفق القراء على قراءة هذا الحرف بالألف بعد الصاد وكسر العين فى سائر مواضعه، عدا الموضع الأخير " السادس "، وهو موضع الذاريات فإنهم اختلفوا فى قراءته، فقرأه الكسائى بحذف الألف وسكون العين، وقرأه الباقون بالألف بعد الصاد وكسر العين(٤)، هذا على الرغم من اتفاق المصاحف العثمانية على رسم هذا الحرف بحذف الألف بعد الصاد فى مواضعه الستة(٥).

ولو قرىء هذا الحرف فى المواضع الخمسة الأولى بحذف الألف وسكون العين لكان ذلك جائزاً فى اللغة والمعنى، لكن الرواية لم تثبت بذلك، ومن ثم لم نر أحداً من الأئمة القراء تواترت عنه القراءه بهذه الصورة فى المواضع الخمسة المذكورة، وهذا من أوضح الأدلة على أن أخذ القراءات إنما يكون عن طريق التوقيف وصحة النقل واتباع الأثر، إذ لو كان الأمر على خلاف ذلك وكانت القراءات بالرأى والاجتهاد لما كان اختلاف القراء فى هذا الحرف مقتصراً على موضع واحد، وإنما كان يشمل المواضع الستة، فكان اختلافهم فى هذا الموضع خاصة واتفاقهم فى غيره دليلاً على ثبوت قراءتهم واتباع الأثر فيها.

٢- لفظ " يحزن ".

---

(١) سورة فصلت، من الآية: ١٣.

(٢) سورة فصلت، من الآية: ١٧.

(٣) سورة الذاريات، من الآية: ٤٤.

(٤) التيسير ١٦٥، والنشر ٢ / ٢٨٢، والإتحاف ٥١٧.

(٥) سمير الطالبين:٥١، وينظر: المقنع: ٢٠، والوسيلة ١٣٣، وجميلة أرباب المراصد٢٦٥، ٢٦٦

تكرر هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى مواضع كثيرة، منها:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾(١).

﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾(٢).

﴿قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ﴾(٣).

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾(٤).

﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾(٥).

وغير ذلك من المواضع الواردة فى سور القرآن الكريم، وقد قرأ أبو جعفر المدنى(٦) هذا الحرف فى جميع مواضعه بفتح الياء وضم الزاى، واستثنى من ذلك موضع سورة الأنبياء، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾، فقرأه بضم الياء وكسر الزاى، لكن كانت قراءة نافع المدنى تلميذ أبى جعفر على عكس ذلك، إذ قرأ الحرف المذكور بضم الياء وكسر الزاى فى جميع مواضعه إلا فى موضع الأنبياء، فإنه قرأه بفتح الياء وضم الزاى، وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الزاى فى جميع القرآن(٧).

ولم تختلف المصاحف العثمانية فى رسم هذا الحرف فى جميع مواضعه ؛ لأنها مجردة من النقط والشكل، واللغة تجيز القراءتين ولا تمنع إحداهما فى أى موضع من المواضع ؛ لأن

---

(١) سورة الأنعام، من الآية ٣٣.

(٢) سورة يونس، من الآية ٦٥.

(٣) سورة يوسف، من الآية ١٣.

(٤) سورة الأنبياء، من الآية ١٠٣.

(٥) سورة المجادلة، من الآية ١٠.

(٦) هو يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدنى القارئ، أحد القراء العشرة، قرأ على مولاه عبد الله بن عياش وغيره، وقرأ عليه نافع بن أبى نعيم، وغيره، توفى سنة ثلاثين ومائة (١٣٠هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ١٧٢- ١٧٨، وغاية النهاية ٢ / ٣٨٢ – ٣٨٤.

(٧) ينظر: غاية الاختصار لأبى العلاء الهمذانى ٢ / ٤٥٦، والنشر ٢/ ١٨٤، والإتحاف ٢٣٢.

حزن وأحزن لغتان، يقال: حزنه الأمر وأحزنه(١)، لكن على الرغم من ذلك رأينا جماعة من القراء اتفقوا على قراءة هذا الحرف فى سائر المواضع بصورة معينة، ورأينا بعضهم قد قرأه فى موضع معين بصورة تخالف قراءته فى بقية المواضع، وبعضهم قرأ بعكس هذه الصورة فى هذا الموضع المعين وفى بقية المواضع، وهذا إنما يدل على اتباع الأثر فى الرواية، وعلى أن مصدر القراءات إنما هو التوقيف والنقل والأخذ عن الأئمة، ومما يؤكد ذلك أن الإمامين أبا جعفر ونافعاً مدنيان وأحدهما شيخ والآخر تلميذه، ومع ذلك لم يتفقا فى قراءة هذا الحرف، بل قرأ كل إمام منهما بعكس ما قرأ صاحبه، ولو كان مرجع القراءات إلى الرأى لكانت قراءتهما واحدة فى جميع مواضع هذا الحرف أو حتى فى بعضها، خاصة وأن هذا جائز فى اللغة والمعنى.

٣- لفظ " الرشد ".

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم معرفاً ومنكراً فى عدة مواضع، منها:

﴿ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا ﴾(٢).

﴿ وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ ﴾(٣).

﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾(٤).

﴿ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾(٥).

﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ ﴾(٦).

---

(١) ينظر: حجة القراءات لابن زنجلة ١٨١، وإبراز المعانى لأبى شامة ٤٠٣.

(٢) سورة النساء، من الآية ٦.

(٣) سورة الأعراف، من الآية ١٤٦.

(٤) سورة الكهف، من الآية ١٠.

(٥) سورة الكهف، من الآية ٦٦.

(٦) سورة الجن، من الآية ٢.

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا﴾[1].

وقد اختلف القراء فى قراءة هذا الحرف فى موضعين اثنين فقط، موضع سورة الأعراف[2]، وهو قوله تعالى: (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً)، والموضع الأخير من سورة الكهف[3]، وهو قوله تعالى: (مما علمت رشداً)، فأما موضع الأعراف فقرأه حمزة والكسائى وخلف[4] فى اختياره بفتح الراء والشين، وقرأ الباقون بضم الراء وسكون الشين[5]، وأما الموضع الأخير من الكهف فقرأه أبو عمرو ويعقوب[6] بفتح الراء والشين، وقرأوا الباقون بضم الراء وسكون الشين[7]، واتفق القراء على قراءة بقية المواضع بصورة معينة، لكنها ليست واحدة فى جميع المواضع المتبقية، فقد قرأوا بعضها بضم الراء وسكون الشين، كقوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا﴾[8]، ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾[9]، وقرأوا البعض الآخر بفتح الراء والشين، كقوله تعالى:

---

(١) سورة الجن، من الآية ١٤.

(٢) آية ١٤٦.

(٣) آية ٦٦.

(٤) هو خلف بن هشام البزار، أحد القراء العشرة، وأحد الرواة عن سليم عن حمزة، روى القراءة عنه عرضاً وسماعاً إسحاق بن إبراهيم وإدريس بن عبد الكريم وغيرهما، توفى سنة تسع وعشرين ومائتين (٢٢٩ هـ) ينظر: معرفة القراء ١ / ٤١٩ – ٤٢٢، وغاية النهاية ١ / ٢٧٢ – ٢٧٤.

(٥) الروضة للمالكى ٢ / ٦٧٢، والنشر ٢ / ٢٠٤، والإتحاف ٢٩٠.

(٦) هو يعقوب بن إسحاق الحضرمى، أحد القراء العشرة، قرأ على أبى الأشهب العطاردى وغيره، وقرأ عليه روح بن عبد المؤمن ومحمد بن المتوكل رويس وغيرهما، توفى سنة خمس ومائتين (٢٠٥هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ٣٢٨ – ٣٣٢، وغاية النهاية ٢ / ٣٨٦ – ٣٨٩.

(٧) الروضة للمالكى ٢ / ٧٦٢، والنشر ٢ / ٢٣٤، والإتحاف ٣٦٩.

(٨) سورة النساء، من الآية ٦.

(٩) سورة الجن، من الآية ٢.

﴿لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾(١)، ﴿فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾(٢) متفقين على هذه القراءة فى تلك المواضع.

وإذا نظرنا إلى هذا الحرف من ناحية الرسم وجدنا رسمه واحداً لم يختلف فى جميع مواضعه فى القرآن الكريم، ومن ناحية المعنى أيضاً فإن معناه فى سائر المواضع يدور حول الصلاح والخير والعلم والدين وما يشبهها، كذلك من ناحية اللغة فإن الرُّشد بضم الراء وسكون الشين، والرَّشَد بفتحهما: لغتان فى هذا اللفظ كالبُخْل والبَخَل(٣).

ومع ذلك وجدنا القراء قد اتفقوا على قراءته بوجه واحد فى بعض المواضع، واختلفوا فى قراءته فى بعض المواضع، فقرءوه بوجهين، وما كان ذلك إلا تمسكاً منهم باتباع الأثر وصحة النقل فى قراءاتهم.

فلو كان اختلاف القراءات ناشئاً عن الرأى والاجتهاد، أو عن خلو المصاحف من النقط والشكل مثلاً لقرئ هذا اللفظ فى جميع مواضعه بقراءتين، إذ أن اللغة تجيز كلتا القراءتين، ومعنى اللفظ لا يختلف عليهما، أما وقد اتفق القراء على قراءته بوجه واحد فى بعض المواضع، واختلفوا فى قراءته فى بعض المواضع، فقرءوه بوجهين، فلا يكون ذلك راجعاً إلا إلى اتفاق النقل فى المواضع المتفق عليها، واختلافه فى المواضع المختلف فيها(٤)، وهذا إن دل فإنما يدل على أن القراءات إنما هى بالتوقيف واتباع الإسناد وليست بالرأى والاجتهاد.

٤ - لفظ (سخرياً):

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع:

---

(١) سورة الكهف، من الآية ٢٤.

(٢) سورة الجن، من الآية ١٤.

(٣) ينظر الكشف لمكى بن أبى طالب ١ / ٤٧٧، والموضح لابن أبى مريم ٢ / ٥٥٤.

(٤) ينظر: القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين، للشيخ عبد الفتاح القاضى ٦٣.

الأول: ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾(١).
الثانى: ﴿أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾(٢).
الثالث: ﴿لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾(٣).

وقد اتفق القراء على القراءة بضم السين فى المواضع الثلاثة، واختلفوا فى الأول والثانى، فقرأهما نافع وحمزة والكسائى وأبو جعفر وخلف فى اختياره بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها فيهما(٤).

ورسم هذا الحرف واحد فى مواضعه الثلاثة لا يختلف ؛ لأن المصاحف العثمانية مجردة من النقط والشكل، والضم والكسر فيه لغتان معناهما واحد، وكلاهما مصدر سخر منه(٥)، ورغم ذلك نجد أن القراء قد اتفقوا على قراءته بضم السين فى موضع الزخرف، واختلفوا فى القراءة بين ضم السين وكسرها فى موضعى المؤمنين و(ص) ولو أنهم قرأوا بقراءة واحدة فى المواضع الثلاثة لجاز ذلك رسماً ولغة ومعنى، لكنهم اتبعوا الأثر فى قراءاتهم وتمسكوا بما رووه عن شيوخهم، وأثبتوا بذلك أن الأصل فى القراءات إنما هو التلقى والرواية.

ومن ثم لم نر ـ فى الغالب ـ أصلاً من أصول القراءة يطرد لإمام من الأئمة فى قراءته إلا ونجده يخالف هذا الأصل فى بعض المواضع، مما يدل على توقيفية القراءة واتباع الأثر فيها، فعلى سبيل المثال:

قرأ حمزة والكسائى وخلف فى اختياره بإمالة ما رسم ياء من الألفات مثل ألف

(١) سورة المؤمنين، من الآية ١١٠.
(٢) سورة ص، من الآية ٦٤.
(٣) سورة الزخرف، من الآية ٣٢.
(٤) ينظر: المبسوط لابن مهران ١٩١، والنشر ٢ / ٢٤٧، والإتحاف ٤٠٦.
(٥) ينظر: الحجة لأبى على الفارسى ٣ / ١٨٧، ١٨٨.

ضحى ومتى وبلى حيث وقعت، ما عدا بعض الألفاظ المستثناة من هذه القاعدة فإنها لم تمل وليس لهم فيها إلا الفتح، وهى: لدى[1] وزكى وعلى وحتى وإلى، فلو لم يكن الاعتماد فى القراءات على التلقى والرواية لأميلت هذه الألفاظ كغيرها مما رسمت ألفه ياء ولو لم يكن أصله الياء.

وقرأ حفص[2] بالتحقيق فى كل همزتين اجتمعتا فى كلمة واحدة فى القرآن الكريم إلا فى حرف واحد، وهو ﴿ءَأَعْجَمِيٌّ﴾ فى سورة فصلت[3]، فله فيه تسهيل الهمزة الثانية وجهاً واحداً[4]، ولا نجد مسوغاً لذلك إلا الالتزام بالتلقى والرواية فى أمر القراءة.

وقرأ أيضاً بالفتح فى سائر الألفات التى يميلها أصحاب الإمالة إلا حرفاً واحداً قرأه بالإمالة، وهو ﴿مَجْرِىٰهَا﴾ بسورة هود[5]، ولم يمل غيره[6] لاتباع الأثر.

إن ما ذكر من اتحاد الرسم فى هذه الألفاظ القرآنية واتفاق القراء على قراءتها فى بعض المواضع، واختلافهم فى بعضها، واستثناء بعض المواضع من الأصول المطردة للقراء، كل أولئك يدل على أن الأصل فى القراءة إنما هو اتباع الأثر والتلقى والنقل الصحيح، ولا دخل فيها لقياس أو رأى أو اجتهاد.

يقول السخاوى: " ومما يوضح تمسك هؤلاء الأئمة بالنقل ما نراه فى قراءتهم من قراءة حرف فى موضع على وجه، وقراءة ذلك الحرف فى غير الموضع على خلاف ذلك،

---

(١) فى موضع غافر، آية ١٨، أما الذى فى يوسف فبالألف إجماعاً.

(٢) هو حفص بن سليمان الكوفى، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، وكان ربيبه " ابن زوجته " وقرأ عليه عمرو بن الصباح، وعبيد بن الصباح وغيرهما، توفى سنة ثمانين ومائة (١٨٠هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ٢٨٧ – ٢٩٠، وغاية النهاية ١ / ٢٥٤، ٢٥٥.

(٣) من الآية ٤٤.

(٤) ينظر: التيسير ١٥٧، والنشر ١ / ٢٨٥، والإتحاف: ٤٨٩.

(٥) من الآية ٤١.

(٦) ينظر: التيسير ٤٦، والنشر ٢ / ٣٢، والإتحاف ١٠٨.

كما قرأ نافع (يحزن) فى جميع القرآن[1] إلا فى الأنبياء[2]، وكما قرأ القراء كلهم (سخرياً) بالضم فى الزخرف وكسره من كسره فى سوى ذلك.

وجاء فى القرآن (إبراهيم) عليه السلام فى تسعة وستين موضعاً، قرأ ابن عامر ـ رحمه الله ـ منها ثلاثة وثلاثين موضعاً " إبراهام "، وقرأ " إبراهيم " فى الباقى، حتى إنه يقرأ فى السورة الواحدة فى موضع منها (إبراهام) وفى آخر (إبراهيم)، ومن ذلك (الأيكة) واختلافهم فى موضعين، وهى فى القرآن فى أربعة مواضع وهذا واضح فى التمسك بالأثر[3].

(١) أى بضم الياء وكسر الزاى. ينظر: النشر ٢ / ١٨٤، والإتحاف ٢٣٢.

(٢) فقرأه بفتح الياء وضم الزاى، ينظر: السابقان نفسهما.

(٣) جمال القراء ٢ / ٦٤٥، تحقيق د / على حسين البواب، ط. مكتبة التراث، مكة المكرمة، الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧م.

ومن أراد المزيد من هذه المواضع فليراجع: القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين ٥٢-٧٤.

الدليل الثانى: اتفاق الأئمة القراء على قراءة واحدة فى الألفاظ المحتملة لقراءات متعددة:

وردت فى القرآن الكريم حروف رسمت بطريقة تجعلها محتملة لأكثر من قراءة حيث كانت خالية من النقط والشكل فى المصاحف العثمانية، هذا إضافة إلى أن اللغة والمعنى لا يمنعان تعدد القراءات فى تلك الحروف، لكن القراء قد اتفقوا على قراءتها بصورة واحدة، تلك الصورة القرائية المنقولة بالسند الثابت والرواية الصحيحة والأثر المتبع، بخلاف غيرها من الصور القرائية التى يحتملها رسم الحروف المذكورة، والتى لم يعتمد فى نقلها على ما سبق ذكره من صحة النقل واتباع الأثر، ومن ثم اقتصر القراء فى هذه الحروف على ما صح نقله وثبتت روايته عن النبى ﷺ ولم يتعدوه إلى غيره وإن احتمله الرسم وكان جائزاً فى اللغة والمعنى، ومن ذلك:

١ – لفظ (الرضاعة):

ورد هذا اللفظ فى القرآن الكريم فى موضعين اثنين.

الأول: ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾(١).

الثانى: ﴿وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾(٢).

والرسم فى الموضعين يحتمل القراءة بفتح الراء وكسرها، إذ المصاحف العثمانية ـ كما قلنا ـ خالية من النقط والشكل، واللغة تجيز ذلك، فالفتح والكسر فى راء الرضاعة لغتان كالحَضَارة والحِضَارة، والوَكالة والوِكالة، والدَّلالة والدِّلالة، ومهرت الشيء مَهارة ومِهارة، فالرَّضاع والرِّضاع فيه مثل ذلك، إلا أن فتح الراء أكثر، ومثله الحَصاد والحِصاد(٣)، والمعنى لا يختلف فيهما، ومع ذلك فقد أجمع القراء على قراءته بالفتح لعدم

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٣٣.

(٢) سورة النساء، من الآية ٢٣.

(٣) ينظر: معانى القراء للفراء ١ / ١٤٩، والدر المصون للسمين الحلبى ١ / ٥٦٩.

تواتر الكسر فيه، وهم إنما يتبعون فى قراءتهم الأثر ويتمسكون بما ثبتت روايته.

٢- ألفاظ (يوصيكم، يوصى، يوصين، توصون) فى قوله تعالى:

﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ﴾(١).

﴿يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾(٢).

﴿يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾(٣).

﴿تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾(٤).

فرسم هذه الألفاظ يحتمل التخفيف والتثقيل، وهما لغتان معروفتان جائزتان فيها، التخفيف من الإيصاء، والتثقيل من التوصية، تقول العرب: وصّيت وأوصيتك، وكلاهما صواب كثير فى الكلام(٥)، وهما بمعنى واحد(٦).

وقد نطق القرآن الكريم بالوجهين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(٧)، ﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾(٨)، ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾(٩) وقال: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ﴾(١٠)، ﴿مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ﴾(١١).

---

(١) سورة النساء، من الآية ١١.

(٢) سورة النساء، من الآيتين ١١، ١٢.

(٣) سورة النساء، من الآية ١٢.

(٤) من الآية نفسها.

(٥) ينظر: معانى القرآن للفراء ١ / ٨٠ و١١١.

(٦) الكشف ١ / ٢٦٥.

(٧) سورة النساء، من الآية ١٣١.

(٨) سورة الشورى، من الآية ١٣.

(٩) سورة الأنعام من الآيات ١٥١، ١٥٢، ١٥٣.

(١٠) سورة النساء، من الآية ١١.

(١١) سورة النساء، من الآية: ١٢.

وكلتا اللغتين تواترت فى قراءاته:

ففى قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ﴾(١)قرأ نافع وابن عامر(٢) وأبو جعفر بهمزة مفتوحة بين الواوين وإسكان الثانية وتخفيف الصاد، وقرأ الباقون بالتشديد من غير همز(٣)، الأولى من أوصى والأخرى من وصى(٤)، وفى قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا ﴾(٥) قرأ شعبة(٦) وحمزة والكسائى ويعقوب وخلف فى اختياره بفتح الواو وتشديد الصاد، وقرأ الباقون بالسكون والتخفيف(٧)، وهما من وصّى وأوصى(٨).

فالتثقيل والتخفيف لغتان استعملهما القرآن الكريم، وقرئ بهما فيما تواتر من قراءاته، كما رأيت فى الموضعين السابقين، وقد كان بالإمكان أن يقرأ " يوصيكم " وغيره من الألفاظ المذكورة بالتثقيل أيضاً لا سيما وأن الرسم يحتمل القراءتين والمعنى لا يختلف فيهما، لكن القراء اتفقوا على قراءة واحدة فيها، وهى قراءة التخفيف ؛ لأنه لم يرو عن رسول الله ﷺ إلا هذه القراءة، وهذا من أوضح الأدلة على أن الاعتماد فى القراءة إنما هو

(١) سورة البقرة، من الآية ١٣٢.

(٢) هو: عبد الله بن عامر الشامى، أحد القراء السبعة،، وإمام أهل الشام فى القراءة، أخذ القراءة عرضاً عن المغيرة بن أبى شهاب وغيره، وعرض عليه القراءة يحي بن الحارث الذمارى وغيره، توفى سنة ثمان عشرة ومائة (١١٨هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ١٨٦ – ١٩٧ وغاية النهاية ١ / ٤٢٣ – ٤٢٥.

(٣) الكفاية الكبرى لأبى العز القلانسى ١٢٣، والنشر ٢ / ١٦٧، والإتحاف ١٩٣.

(٤) الموضح لابن أبى مريم ١ / ٣٠٢، ٣٠٣.

(٥) سورة البقرة، من الآية ١٨٢.

(٦) هو شعبة بن عياش أبو بكر الكوفى، روى عن عاصم، عرض القرآن على عاصم وغيره، وعرض عليه يعقوب الأعشى وغيره، توفى سنة ثلاث وتسعين ومائة (١٩٣ هـ). ينظر معرفة القراء ١ / ٢٨٠ –٢٨٧، وغاية النهاية ١ / ٣٢٥.

(٧) روضة المالكى ٢ / ٥٥٥، والنشر ٢ / ١٧٠، والإتحاف ١٩٩.

(٨) السابق نفسه، والموضح لابن أبى مريم ٢ / ٣١٥.

على السند والآثار، لا على الكتابة والاختيار(١).

٣- لفظ (إن لم) فى قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾(٢).

يحتمل رسم " إن " هنا كسر الهمزة وفتحها، واللغة تجيزهما، فالكسر على أنها شرطية، والجواب محذوف عند الجمهور لدلالة قوله " فلعلك "، وعند غيرهم هو جواب متقدم، والفتح على حذف الجار، أى: لأَنْ لَمْ يؤمنوا(٣).

إذن: الوجهان جائزان لغة ومعنى ورسماً، ومع هذا أجمع الأئمة القراء على قراءتهما بالكسر لا غير، ولو لم تكن القراءة بالتلقى واتباع الأثر لاختلف القراء فى قراءتهما، فكان منهم من يقرأ بفتحها على تقدير حذف الجار، ومنهم من يقرأ بكسرها على أنها شرطية، أما وقد اتفق الأئمة القراء على قراءتها بالكسر دون الفتح، فذلك من أقوى الأدلة على توقيفية القراءات القرآنية والالتزام فيها بالنقول الصحيحة والأسانيد المتصلة.

٤- لفظ (كل) فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾(٤):

تجيز اللغة فى هذا اللفظ الرفع والنصب، لكن الأئمة القراء قد اتفقوا على قراءته بالنصب، ولو قرىء بالرفع لكان صواباً، بل إن وجه الرفع فيه أقوى من النصب، قال أبو الفتح(٥): الرفع هنا أقوى من النصب، وإن كانت الجماعة على النصب، وذلك أنه من

---

(١) ينظر: القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين ٧٧، ٧٨.

(٢) سورة الكهف، آية ٦.

(٣) الدر المصون ٤/ ٤٣٣، ٤٣٤، وينظر: معانى القرآن للفراء ٢ / ١٣٤، وإعراب القراءات الشواذ لأبى البقاء العكبرى ٢ / ٧.

(٤) سورة القمر، آية ٤٩.

(٥) هو عثمان بن جنى، أبو الفتح الموصلى، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، أخذ عن أبى على الفارسى، ثم حل محله، له المحتسب، والخصائص، وغيرهما، توفى سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة (٣٩٢ هـ). ينظر: البداية والنهاية ١١ / ٣٠٣، والأعلام ٤ / ٢٠٤.

مواضع الابتداء، فهو كقولك: زيد ضربته... وذلك لأنها جملة وقعت فى الأصل خبراً عن مبتدأ فى قولك: نحن كل شيء خلقناه بقدر، فهو كقولك: هند زيد ضربها، ثم تدخل إن فتنصب الاسم، وبقى الخبر على تركيبه الذى كان عليه من كونه جملة من مبتدأ وخبر(١).

فرفع " كل " هنا على الابتداء، و" بقدر " خبره، وأما وجه النصب فعلى أن العامل فيه فعل محذوف يفسره المذكور(٢).

إذن " الوجهان سائغان فى اللغة كما رأيت، والرسم يحتملهما لخلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل، ومع ذلك لم يثبت عن الأئمة القراء إلا وجه النصب فى هذا الحرف، وإن كان الرفع أقوى فى اللغة، ولا سبب لذلك إلا التزامهم بما صح نقله وثبتت روايته عن النبى ﷺ بغض النظر عن أى اعتبارات أخرى.

وفى هذه الأمثلة ـ وغيرها ـ رد على من يدعى أن القراءات قد نشأت من رسم المصحف، إذ اختلاف القراءات لم ينشأ عن اختلاف رسم المصحف، وإنما رسم المصحف هو الذى وضع على أساس اختلاف القراءات، وهذه حقيقة مقررة.

هذا إضافة إلى السبب الرئيسى فى إيراد هذه الأمثلة، وهو أن اتفاق القراء على قراءة واحدة فى الألفاظ التى تحتمل قراءات متعددة أحد الأدلة على اتباع الأثر فى نقل القراءات القرآنية.

الدليل الثالث: قراءة بعض الحروف بما يخالف صريح رسمها فى كل المصاحف العثمانية:

إن موافقة القراءة رسم أحد المصاحف العثمانية من الضوابط التى وضعها العلماء،

---

(١) المحتسب ٢ / ٣٠٠.

(٢) إملاء ما من به الرحمن لأبى البقاء العكبرى ٢ / ٢٥٠، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٢٦٤.

قلت: ومن أراد المزيد من الأمثلة فى هذا الدليل فليراجع كتاب القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين ٧٤–٧٨.

والتى لابد من تحققها حتى تقبل القراءة ويحكم بصحتها، قال ابن الجزرى: " كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها فهى القراءة الصحيحة التى لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هى من الأحرف السبعة التى نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم"(١).

لكن موافقة الخط ليست موافقة مطلقة، فقد أوضح ـ رحمه الله ـ أنه يعنى بقوله "ولو احتمالاً ما يوافق الرسم ولو تقديراً، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً وهى الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديراً وهى الموافقة احتمالاً، وبين ما يجوز وما لا يجوز من وجوه المخالفة، فذكر أن مخالف صريح الرسم فى حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يعد مخالفاً إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مستفاضة، قال:ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد(٢)، وقراءة ﴿وَأَكُونَ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾(٣) والظاء فى ﴿بِضَنِينٍ﴾(٤) ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردودة، فإن الخلاف فى ذلك يغتفر إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد وتمشيه صحة القراءة وشهرتها وتلقيها بالقبول، وذلك بخلاف زيادة كلمة ونقصانها وتقديمها وتأخيرها حتى ولو كانت حرفاً واحداً من

(١) النشر ١ / ١٥.

(٢) وهى الآيات الزوائد على الرسم أواخر الكلم، وتقع فى الأسماء والأفعال، نحو " الواد "، و"يأت"، إبراز المعانى ٣٠٤، وينظر أشهر المصطلحات فى فن الأداء وعلم القراءات لأحمد بن محمود الحفيان: ٢٢٢.

(٣) سورة المنافقين، من الآية: ١٠، والقراءة المذكورة لأبى عمرو، وقرأ الباقون بحذف الواو وجزم النون. التيسير ١٧١، والنشر ٢ / ٢٩٠، والإتحاف ٥٤٣.

(٤) سورة التكوير، من الآية ٢٤، وقراءة الظاء لابن كثير وأبى عمرو والكسائى ورويس، والضاد للباقين. النشر ٢ / ٢٩٨، والإتحاف ٥٧٣، ٥٧٤.

حروف المعانى، فإن حكمه فى حكم الكلمة لا تسوغ مخالفة الرسم فيه، وهـذا هـو الحـد الفاصل فى حقيقة اتباع الرسم ومخالفته(١).

أقول: وإن كانت موافقة خط المصحف شرطاً من شروط صحة القراءة فـإن المعـول عليه الأول فى القراءة إنما هو التلقى والمشافهة وصحة النقـل واتبـاع الأثـر، ثـم موافقـة الرسم مما صح نقله من قراءات ثانياً، فإن لم تتحقـق الموافقـة فـيما يرويـه بـه القـارئ مـن قراءات ثبت على روايته وإن خالفت الرسم(٢).

وها أنذا أستدل على ذلك بإيراد بعض الأمثلة التـى قرأهـا بعـض الأئمـة القـراء بـما يخالف صريح رسمها فى كل المصاحف العثمانية:

١ – لفظ (الصراط) حيث وقع فى القرآن الكريم معرفاً أو منكراً، نحو قوله تعالى:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾(٣).

فقد اتفقت المصاحف العثمانية على رسـم هـذا اللفـظ بالـصاد فى جميـع مواضـعه فى القرآن الكريم(٤)، ومع ذلك اختلف القراء فى قراءته، فقرأه قنبل(٥) بخلفـه ورويـس(٦)

(١) النشر ١/ ١٧، ١٨، وينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، للدكتور / غانم قدورى الحمد: ٥٦٨.

(٢) ينظر: السابق ٦٠٠.

(٣) سورة الفاتحة، الآيتان ٦، ٧.

(٤) المقنع: ٩٥، والوسيلة: ١٢١، وجميلة أرباب المراصد: ٢٥١.

قلت: ومثله فى الرسم بالصاد فى جميع المصاحف (يبصط) بالبقرة: ٢٤٥، (بصطة) بالأعراف: ٦٧، (المصيطرون) بالطور ٣٧، (بمصيطر) بالغاشية: ٢٢، ينظر: المقنع ٩٥، والوسيلة ١٢٨، ١٢٩ و١٦٠، وجميلة أرباب المراصد ٢٦٠، ٢٦١.

(٥) هو محمد بن عبد الرحمن المخزومى المكى، الملقب بـ " قنبل " شيخ القراء بالحجاز، عرض القراءة على أحمد ابن محمد النبال وغيره، وقرأ عليه أبو ربيعة محمد بن إسحاق وغيره، توفى سنة إحدى وتسعين ومائتين (٢٩١هـ) ينظر: معرفة القراء ١/ ٤٥٢، ٤٥٣، وغاية النهاية ٢/ ١٦٥، ١٦٦

(٦) هو محمد بن المتوكل أبو عبد الله اللؤلؤى، رويس المقرئ، عرض القراءة على يعقوب الحضرمى، قرأ عليه محمد بن هارون التمار وغيره، توفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين (٢٣٨هـ) ينظر: معرفة القراء ١ / ٤٢٨، وغاية النهاية ٢٣٤، ٢٣٥.

بالسين فى كل القرآن، وقرأه خلف عن حمزة بإشمام الصاد صوت الزاى فى كل القرآن أيضاً، واختلف عن خلاد(١)، فروى عنه بعضهم الإشمام فى الأول من الفاتحة فقط، وروى بعضهم الإشمام فى الأول والثانى من الفاتحة فقط، وروى بعضهم الإشمام فى المعرف باللام فقط، وروى بعضهم عدم الإشمام مطلقاً، وقرأه الباقون بالصاد فى كل مواضعه(٢).

فهذا الحرف وإن أجمعت المصاحف على كتابته بالصاد فى كل مواضعه، إلا أن هذا لا يمنع من ثبوت القراءة فيه بالسين أو بالإشمام عن بعض القراء كما رأيت، وهذا من أدل الأدلة على أن المعتمد عليه فى القراءة إنما هو اتباع الأثر وصحة النقل، حتى ولو كان ذلك مخالفاً لصريح الرسم.

٢- لفظ (لؤلؤا) من قوله تعالى:

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بالحج(٣).

رسم هذا اللفظ فى الموضع المذكور بألف متطرفة فى كل المصاحف من غير خلف(٤)، ومع ذلك اختلف فيه القراء، فقرأه نافع وعاصم(٥) وأبو جعفر ويعقوب

(١) هو خلاد بن خالد الصيرفى الكوفى، عرض القراءة على سليم وغيره، وعرض عليه أحمد بن يزيد الحلوانى وغيره، توفى سنة عشرين ومائتين (٢٢٠هـ) ينظر: معرفة القراء ١/ ٤٢٢، ٤٢٣، وغاية النهاية ١ / ٢٧٤.

(٢) النشر ١ / ٢١٣، ٢١٤، والإتحاف ١٦٣.

(٣) من الآية ٢٣.

(٤) المقنع ٤٧، والوسيلة ٢٢٩، وجميلة أرباب المراصد ٤١١، قلت: واختلف فى موضع فاطر. انظر المراجع السابقة.

(٥) هو عاصم بن أبى النجود بن بهدلة الكوفى، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة عرضاً عن أبى عبد الرحمن السلمى وغيره، قرأ عليه حفص بن سليمان وشعبة بن عياش وغيرهما. توفى سنة سبع وعشرين ومائة (١٢٧هـ) ينظر: معرفة القراء ١ / ٢٠٤ – ٢١٠، وغاية النهاية١/ ٣٤٦.

بنصب الهمزة، وقرأه الباقون بالخفض[1]، اعتماداً على الرواية والنقل.

قال أبو شامة[2]: " ورسم بالألف فى الحج خاصة دون فاطر، والقراءة نقل فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرده واجباً ما لم يعضده نقل، فإن وافق فبها ونعمت ذلك نور على نور، قال الشيخ[3]: وهذا الموضع أدل دليل على اتباع النقل فى القراءة ؛ لأنهم لو اتبعوا الخط وكانت القراءة إنما هى مستندة إليه لقرأوا هنا بألف، وفى الملائكة بالخفض، قال أبو عبيد[4]: ولولا الكراهة لخلاف الناس لكان اتباع الخط أحب إلي، فيكون هذا بالنصب والآخر بالخفض "[5].

فإجماع المصاحف على كتابة هذا الحرف فى الموضع المذكور بالألف لم يمنع القراء من رواية ما صح نقله من وجه الخفض فيه، وإن كان مخالفاً لما رسم فى المصاحف، وذلك لأن الركن الأهم فى صحة القراءة إنما هو اتباع الرواية والنقل.

٣- لفظ ﴿أُقِّتَتْ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[6]:

كتب هذا اللفظ بالألف قبل القاف باتفاق جميع المصاحف[7]، لكن لم يتفق القراء

---

(١) النشر ٢ / ٢٤٤، والإتحاف ٣٩٧.

(٢) هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو شامة الدمشقى، أخذ عنه القراءات الشيخ شهاب الدين الكفوى وغيره، صنف الكثير من أنواع العلوم، توفى سنة خمس وستين وستمائة (٦٦٥هـ)، ينظر: معرفة القراء ٣/ ١٣٣٤ –١٣٣٦، وغاية النهاية ١ / ٣٦٥.

(٣) المراد: الإمام السخاوى، وقوله فى فتح الوصيد ٤ / ١١٢١.

(٤) هو أبو عبيد القاسم بن سلام الرومى الأنصارى، قرأ على الكسائى وغيره، وقرأ عليه أحمد بن إبراهيم الوراق وغيره، توفى سنة أربع وعشرين ومائتين (٢٢٤هـ). ينظر: معرفة القراء ١/ ٣٦٠، وغاية النهاية ٢ / ١٧، ١٨، وينظر قوله فى فتح الوصيد ٤ / ١١٢٢.

(٥) إبراز المعانى: ٦٠٤.

(٦) سورة المرسلات، آية ١١.

(٧) المصاحف لابن أبى داود ١١٦، وسمير الطالبين ١٠٠.

على قراءته بالألف، بل اختلفوا فى ذلك، فقرأه أبو عمرو بواو مضمومة مع تشديد القاف، وقرأه أبو جعفر بخلف عن ابن جماز(١) بالواو مع تخفيف القاف، وقرأه الباقون بالهمز والتشديد، وهو الوجه الثانى لابن جماز(٢).

فقراءة الهمز هنا موافقة للرسم كما رأيت، وأما قراءة الواو سواء كانت مع تشديد القاف أو تخفيفها فهى مخالفة لرسم جميع المصاحف، إذ لم يثبت رسمها فى مصحف من المصاحف العثمانية، لكنها ثبتت بطريق التواتر وصح نقلها عن الأئمة واتصل سندها برسول الله ﷺ ومن ثم قرئ بها وتلقتها الأمة بالقبول مع عدم موافقتها لمرسوم المصاحف.

إذن: قراءة الواو دالة على اتباع النقل وإلا فلو كان الاعتماد على الخط لكانت القراءة بالهمز فقط، ومن ثم يتضح لنا أن مصدر القراءة النقل والرواية والإسناد، وأن هذا الركن مقدم على غيره.

٤- لفظا ﴿إِيلَٰفِ- إِۦلَٰفِهِمْ﴾ من قوله تعالى:

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾(٣).

أجمعت المصاحب على إثبات الياء فى الحرف الأول وحذفها فى الثانى(٤)، ومع ذلك ورد الخلاف فيها عن القراء فى الحرفين بين الحذف والإثبات، أما الحرف الأول " لإيلاف " فقرأه ابن عامر بغير ياء بعد الهمزة، وقرأه أبو جعفر بياء ساكنة من غير همزة، وقرأه الباقون بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة.

---

(١) هو سليمان بن مسلم بن جماز المدنى، قرأ على أبى جعفر يزيد بن القعقاع وغيره، وأخذ عنه قتيبة بن مهران وغيره، توفى بعد السبعين ومائة(١٧٠هـ)، ينظر: معرفة القراء ١/ ٢١٤ -٢١٩، وغاية النهاية ١ / ٣١٥.

(٢) النشر ٢ / ٢٩٦، ٢٩٧، والإتحاف ٥٦٧، والميسر ٥٨٠.

(٣) سورة قريش، الآيتاين الأوليان.

(٤) المقنع: ٩٤، والإتحاف ٦٠١.

وأما الحرف الثانى " إيلافهم " فقرأه أبو جعفر بهمزة مكسورة من غير ياء، وقرأه الباقون بالهمزة وياء ساكنة بعدها "(١).

فالحرف الأول رسم بالياء فى كل المصاحف، لكن ابن عامر خالف فيه الرسم وقرأه بحذف الياء لأنه نقل إليه هكذا عن طريق الروايات والأسانيد القوية الصحيحة المتصلة إلى النبى ﷺ، ولو كان الرسم مصدراً للقراءة دون النقل والرواية لقرأه بإثبات الياء.

والحرف الثانى: رسم بحذف الياء فى كل المصاحف، لكن لم يقرأ بحذف الياء فيه غير أبى جعفر، أما بقية القراء فإنهم خالفوا فيه الرسم وقرأوه بإثبات الياء اتباعاً للرواية والنقل والإسناد، وهذا أيضاً مما يؤكد على أن القراءات ليس مصدرها الرسم وإنما مصدرها الرواية والنقل وإلا لحذفت الياء فى هذا الحرف باتفاق القراء.

قال السخاوى: " وكتب فى جميع المصاحف ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ أسقطوا الياء من الثانى وأثبتوها فى الأول، وهذا مما يدل على اتباعهم الأثر "(٢).

وقال أبو شامة: " وهذا مما يقوى أمر هؤلاء القراء فى اتباعهم فيما يقرءونه النقل الصحيح دون مجرد الرسم وما يجوز فى العربية "(٣).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما سبق فى هذه الجزئية من قراءات صحيحة موافقة لخط المصحف قد نقلت إلى من قرأ بها من الأئمة أيضاً هكذا عن طريق الروايات والأسانيد الصحيحة المتصلة إلى النبى ﷺ فجاءت الرواية موافقة للرسم بالنسبة إليهم، وموافقة القراءة للرسم يثبت لها المزيد من الاحتجاج.

هذا ولم تقتصر مخالفة صريح الرسم فى كل المصاحف على مثل هذه الحروف التى وقع فيها الخلاف بين القراء، بل قد يخالف صريح الرسم فى مواضع إجماعاً ويتفق القراء

---

(١) النشر ٢ / ٣٠٢، والإتحاف ٦٠١، والميسر ٦٠٢.

(٢) فتح الوصيد ٤ / ١٣٣٠.

(٣)إبراز المعانى٧٢٩، وللمزيد من الأمثلة ينظر:القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين٧٩ -٨٢.

على قراءتها بصورة واحدة تخالف رسمها، فقد وردت فى رسم المصحف أشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء، ولوحظ أن هجاء بعض الكلمات كثيراً ما يشتمل على رموز زائدة لا تلفظ، ورموز تلفظ على غير ما يدل عليه رسمها، وأصوات تلفظ وليس فى الكتابة ما يدل عليها، ومن أمثلة ذلك " لأ اذبحنه، سأوريكم، الصلوة، الزكوة، الحيوة، الربوا، مشكوة، منوة " وغير ذلك من الأمثلة.

فهذا النوع من المخالفة ناتج عن طبيعة الكتابة وليس للقارئ منه مفر، ولابد أن يقرأ فيه بما يرويه ولا يلتفت إلى مخالفة الرسم(١).

فانظر كيف رسمت هذه الحروف وغيرها فى المصاحف، ومع ذلك أجمع القراء على قراءتها بغير ما رسمت به فخالفوا الرسم واتبعوا الأثر وتمسكوا بالرواية والإسناد

وثبوت الرواية مع صحة الإسناد إنما هو أهم ما علق عليه العلماء صحة القراءة، فلابد أولاً من ثبوت النقل، ثم ينظر فى توافر الشروط الأخرى بعد ذلك(٢).

الدليل الرابع: مخالفة الأئمة القراء ورواتهم مصاحف بلدانهم:

إن الاعتماد فى نقل القرآن الكريم وقراءاته ـ كما ذكرنا مراراً ـ إنما هو على التلقى والرواية، ولذلك لما أراد سيدنا عثمان ﷺ إرسال المصاحف إلى الأمصار لم يكتف بإرسالها وحدها لتكون المرجع الوحيد للمسلمين، بل أرسل مع كل مصحف إماماً ضابطاً تكون قراءته موافقة لما فى هذا المصحف غالباً، فكان كل واحد من هؤلاء الأئمة يقرئ أهل مصره بما يحتمله رسم هذا المصحف من القراءات الثابتة عن رسول الله ﷺ بطريق التواتر، دون الثابتة بطريق الآحاد والمنسوخة وإن كان يحتملها رسم المصحف(٣).

ومن ثم كانت قراءة كل إمام من الأئمة القراء موافقة لرسم مصحف بلده فى الغالب

---

(١) ينظر: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية ٥٦٩.

(٢) ينظر: السابق ٥٣٤.

(٣) ينظر: القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين ص ٤٨.

الأعم، لكن هذه الموافقة ليست لازمة، فقد يخالف الإمام مصحف بلده فى بعض الحروف التى اختلفت فيها المصاحف، ضرورة اعتماده على التلقى والرواية فيما يقرأ، وهو شاهد أكيد على أن المعتمد فى القراءات هو الرواية والمشافهة أولاً، ثم موافقة الرسم مما صح نقله من قراءات ثانياً، فإن لم تتحقق الموافقة فيما يرويه القارئ من قراءات ثبت على روايته وإن خالفت الرسم(١)، ومن أمثلة ذلك:

١ – لفظ ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ من قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾(٢).

اختلفت المصاحف العثمانية فى رسم هذا الحرف، فهو فى المصحف الشامى "ينشركم" بتقديم الحرف المطول وهو النون، وفى بقية المصاحف ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾ بتأخيره(٣).

قلت: وقد آثرت التعبير هنا بتقديم الحرف المطول وتأخيره(٤) دون النون والشين والسين والياء(٥)؛ لأن صورة " يسيركم " واحدة فى كل الرسوم، إذ الوضع الأول لا نقط فيه، وقد اتفقت الرسوم على كتابة حرفين بين الطرفين ذو شكل واحد، وذو ثلاثة مماثلة، وفرق بينهما بتطويل المتوحد، فقدم هذا فى الشامى فصار " ينشركم " وآخر فى غيره فصار " يسيركم " ولزم من كل واحد اللفظ المستعمل(٦).

وأما من حيث القراءة فقد قرأه ابن عامر وأبو جعفر بفتح الياء ونون ساكنة بعدها

---

(١) ينظر: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية، ص ٦٠٠.

(٢) سورة يونس، من الآية ٢٢.

(٣) جميلة أرباب المراصد ٣١٨، والإتحاف ٣١٨، وينظر: المقنع ١٠٨، والوسيلة ١٦٥، ١٦٦

(٤) وهى عبارة الجعبرى وغيره.

(٥) وهى عبارة الدانى وغيره.

(٦) ينظر: جميلة أرباب المراصد ٣١٩.

فشين معجمة مضمومة، وقرأه الباقون بضم الياء وسين مهملة مفتوحة بعدها ياء مكسورة مشددة(١).

والشاهد هنا أن هذا الحرف قد رسم فى سائر المصاحف غير المصحف الشامى "يسيركم " بتأخير الحرف المطول، ومع ذلك قرأه أبو جعفر " وهو مدنى " " يَنْشُرُكُم " بتقديمه، فهو بذلك قد خالف مصحف بلده، وما حمله على ذلك إلا اتباع الأثر والتمسك بما ثبتت روايته عنده، ولولا النقل والرواية لكان من الممكن أن يقرأ هذا الحرف "يُسَيِّرُكُمْ " وفق ما رسم فى المصحف المدنى.

٢ – لفظ (أو أن) من قوله تعالى:

﴿ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾(٢).

كتب فى المصحف الكوفى " أو أن " بألف قبل الواو، وفى سائر المصاحف " وأن " بغير ألف(٣).

وقرأه الكوفيون ويعقوب بزيادة همزة مفتوحة قبل الواو مع سكون الواو، والباقون بواو النسق(٤).

فقراءة يعقوب " وهو بصرى " مخالفة لما كتب فى مصحف أهل البصرة، إذ رسم هذا الحرف فى المصحف البصرى " وأن " بغير ألف قبل الواو كما سبق بيانه، ومع ذلك قرأه يعقوب بزيادة همزة مفتوحة قبلها، وهذا من أوضح الأدلة على اتباع الرواية والنقل فى القراءة، ولو كان الاعتماد فيها على غير ذلك كالرسم والكتابة مثلاً لما وجدنا إماماً يقرأ بما يخالف رسم مصحف بلده فى حرف من الحروف.

---

(١) النشر ٢ / ٢١٢، والإتحاف ٣١١.

(٢) سورة غافر، من الآية ٢٦.

(٣) المقنع ١١٠، والوسيلة ٢٠٣، وجميلة أرباب المراصد ٣٧٥، والإتحاف ٤٨٧.

(٤) النشر ٢ / ٢٧٣، والإتحاف ٤٨٥.

٣- لفظ ﴿تَشْتَهِيهِ﴾ من قوله تعالى:

﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾(١)

رسم هذا اللفظ فى المصحف المدنى والشامى " تشتهيه " بإثبات هاء بعد الياء، وفى بقية المصاحف " تشتهى " بحذفها(٢).

وأثبتها فى القراءة نافع وابن عامر وحفص عن عاصم وأبو جعفر وحذفها الباقون(٣).

وبالنظر فى هذا نجد أن حفصاً " وهو كوفى " قد قرأ هذا الحرف بإثبات الهاء بعد الياء، مع أنه مرسوم فى المصحف الكوفى بحذفها، فيكون بذلك مخالفاً لمصحف بلده فى حين أن أبا بكر شعبة، وهو كوفى أيضاً " قد جاءت روايته عن عاصم فى هذا الحرف بما يوافق رسم المصحف الكوفى، فقرأه بحذف الهاء، وبذلك يكون الإمام عاصم مخالفاً لمصحف بلده من طريق حفص، وموافقاً له من طريق شعبة، وهذا من أدل الأدلة على تمسك هؤلاء الأئمة بالنقل واتباعهم الأثر فى قراءتهم، فلو كان الأمر قائماً على الرسم أو الاجتهاد لاتفق الرواة عن عاصم على قراءة هذا الحرف مثلاً بما يتفق مع رسم المصحف الكوفى، لكنهم ثبتوا على ما تلقوه من قراءات صحيحة وافقت رسم مصاحف بلدانهم أو خالفتها.

٤- لفظ ﴿قَوَارِيرَاْ﴾ من قوله تعالى:

﴿قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ﴾(٤)

كتب فى مصاحف أهل البصرة بغير ألف مكان التنوين، وفى سائر المصاحف

(١) سورة الزخرف، من الآية ٧١.

(٢) المقنع ١١١، والوسيلة ٢٠٧، وجميلة أرباب المراصد ٣٧٩، والإتحاف ٤٩٨.

(٣) النشر ٢ / ٢٧٦، والإتحاف ٤٩٧.

(٤) سورة الإنسان، من الآية ١٦.

بألف(١).

واختلف فيه القراء، فقرأه نافع وشعبة والكسائى وأبو جعفر بالتنوين ووقفوا عليه بالألف، والباقون بترك التنوين ووقفوا عليه بدون ألف بخلف عن هشام، فإنه وقف بالألف وبدونها(٢).

فكل من قرأه بترك التنوين ووقف عليه بدون ألف غير أبى عمرو ويعقوب ورواتهما ـ يكون مخالفاً لما رسم فى مصحف بلده، إذ لم يرسم هذا الحرف بغير ألف إلا فى المصحف البصرى كما ذكرنا، وعلى هذا فابن كثير وابن عامر(٣) وحفص وحمزة وخلف فى اختياره قد خالفوا مصاحف بلدانهم فى هذا الحرف ؛ لأنه رسم فى سائرها بألف، ولا سبب فى ذلك إلا اتباع الرواية، وقد نبه الإمام السخاوى على ذلك حيث قال: " ومن خالف مصحفه من الأئمة فى شيء من ذلك فللرواية "(٤).

وهذا من آكد الأدلة على أن مصدر القراءة الرواية والنقل والإسناد " فلا يسوغ لأحد أن يقرأ بقراءة حتى ولو كانت موافقة للرسم، إلا إذا صح سندها وثبتت بطريق التواتر.

هذا، ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن كل من قرأ بما يخالف مصحف بلده فى الأمثلة السابقة ونظائرها فإنه قد وافق رسم غيره من المصاحف العثمانية، وبذلك يبقى شرط موافقة الرسم متحققاً فى قراءته.

---

(١) المقنع ٤٥، والوسيلة ٢٢٧، وينظر: جميلة أرباب المراصد ٤٠٨، والإتحاف ٥٦٦.

قلت: وهذا على ما رواه الدانى بسنده إلى أبى عبيد فى هذا الحرف، وإلا فقد حكى فيه خلاف، راجع المصادر السابقة.

(٢) النشر ٢ / ٢٩٥، والإتحاف ٥٦٥، ٥٦٦.

(٣) بخلف هشام فى وجه الوقف بالألف.

(٤) فتح الوصيد ٤ / ١٣٠١.

وللمزيد من الأمثلة ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ٦٠٠، ٦٠١.

الدليل الخامس: مخالفة القراءة فى بعض الحروف للأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية:

إن شرط موافقة القراءة للغة ليس معناه أن تأتى القراءة على أفصح اللغة وأقيسها، بل معنى ذلك أن توافق القراءة وجهاً سائغاً فى اللغة العربية، سواء كان أفصح أم فصيحاً مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه اختلافاً لا يضر مثله، وإن لم يكن مشهوراً عند علماء اللغة، فقد ترد القراءة على وجه قليل أو غير مشهور فى اللغة، لكنها لن تخرج بحال عن كلام العرب، والحقيقة أن كل قراءة ثبتت عن طريق التواتر ووافقت خط المصحف يلزم أن يكون لها وجه فى العربية ضرورة نزول القرآن الكريم بلغة العرب.

فلا يلزم أن تكون القراءة جارية على أفصح اللغات وأشهرها ؛ لأن القراءة ليست تابعة للغة، بل اللغة تابعة للقراءة، ولأن الاعتماد فى نقل القراءة إنما هو على التلقى واتباع الأثر.

قال الدانى: " وأئمة القراءة لا تعمل فى شيء من حروف القرآن على الأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية، بل على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل، والرواية إذا ثبتت لا يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها "(١).

وقال الصفاقسى: " القراءة لا تتبع العربية بل العربية تتبع القراءة، لأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع وهو نبينا ﷺ ومن أصحابه ومن بعدهم "(٢).

ولما كان المعول عليه عند الأئمة القراء فى نقل حروف القرآن إنما هو التلقى والرواية واتباع الأثر دون اعتبار الأفصح أو الأقيس أو الأشهر فى اللغة لم يقتصروا فى نقل القراءة على ما كان خاضعاً للأقيسة اللغوية أو موافقاً للأكثر اشتهاراً فى اللغة، ولكن رأينا فيما

(١) جامع البيان له ٢ / ٨٦٠.
(٢) غيث النفع ٩١.

نقل عنهم من قراءات صحيحة ومتواترة ما خالف هذه الأمور(١)، ومع ذلك تواتر نقله وثبتت قرآنيته ؛ لأن العمل كما قلنا على التلقى والمشافهة.

فمن أمثلة مخالفة القراءة للقواعد النحوية:

- قراءة حمزة بخفض " الأرحام " من قوله تعالى: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ** ﴾(٢).

فهذه القراءة قد خالفت القاعدة النحوية التى تمنع عطف الاسم الظاهر على الضمير المجرور بدون إعادة الجار كما عند جمهور البصريين، وهو ما جعل النحاة من البصريين خاصة يضعفون هذه القراءة ويردونها، بل ويخطئونها ويحرمون القراءة بها(٣)، لا لشيء إلا لأنها خالفت القاعدة النحوية التى قعدوها بأنفسهم ثم حكموها فى القراءات القرآنية، وهذا أمر مرفوض لأن النحو هو الذى يؤصل على القرآن وليس العكس، ولأنه عند اختلاف النحويين والقراء يكون المصير إلى القراء ؛ لأنهم نقلوا عمن ثبتت عصمته من الغلط، ولأن القراءة ثبتت تواتراً، وما نقله النحويون فآحاد، والقراء أعدل وأكثر، فالرجوع إليهم أولى(٤).

والقراءة المذكورة قراءة صحيحة ثابتة متواترة عن سيدنا رسول الله ﷺ قرأ بها سلف الأمة، واتصلت بأكابر قراء الصحابة الذين تلقوا القرآن من فىّ رسول الله ﷺ بغير واسطة.

---

(١) لكن استعمال القرآن الكريم هذه الأوجه جعلها من الفصيح أو الأفصح، وإن كانت فى كلام العرب على غير ذلك.

(٢) سورة النساء، من الآية الأولى.

(٣) ينظر: إبراز المعانى ٤١٠ – ٤١٢، والبحر المحيط ٣ / ١٦٥-١٦٧.

قلت: وقراءة الباقين بالنصب. ينظر: السبعة ٢٦، والنشر ٢ / ١٨٦، والإتحاف ٢٣٦.

(٤) ينظر: غيث النفع: ٩١.

إضافة إلى أن منع هذا الوجه ليس بإجماع النحويين، بل هو رأى البصريين منهم، أما الكوفيون فكانوا إزاء هذه القراءة على منهج لغوى سليم غاية السلامة، حيث تقبلوها بصدر رحب وأجازوها دون تردد، ودعموها بالوارد من الشواهد نثراً وشعراً، فمن ذلك قول العرب: " ما فيها غيره وفرسه " بجر كلمة فرس عطفاً على الضمير المجرور فى غيره دون إعادة الجار، وقول الشاعر:

فاليوم قرّبت تهجونها وتشتِمنا فاذهب فما بك والأيامِ من عجب(١)

بجر كلمة الأيام عطفاً على الكاف فى بك دون إعادة الجار(٢).

وليس الغرض ههنا الدفاع عن مثل هذه القراءة الصحيحة ولا الاحتجاج لها، فلو لم يكن لها من الحجة إلا ثبوتها بالتواتر والسند الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ لكفى، بل الغرض هو إثبات أن هؤلاء الأئمة القراء قد اعتمدوا فى نقل حروف القرآن على التلقى والرواية دون اعتبار الأفصح أو الأشهر فى اللغة، ولولا الرواية واتباع الأثر لكان من الممكن أن يقتصر القراء على القراءة بما يوافق أفصح اللغة وأشهرها.

- وقراءة ابن عامر قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾(٣) ببناء " زين " للمفعول، ورفع " قتل " ونصب " أولادهم " وخفض " شركائهم "(٤).

---

(١) البيت فى الكتاب ١ / ٣٩٢، وإعراب القرآن للنحاس ١ / ٢٠٤، والبحر المحيط ٣ / ١٦٦، وبه " قد بت " بدلاً من " قربت ".

(٢) ينظر فى دفع المطاعن عن هذه القراءة بالتفصيل: الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، للدكتور / أحمد مكى الأنصارى ١ - ٣١.

(٣) سورة الأنعام، من الآية ١٣٧.

(٤) التيسير: ٨٨، والنشر ٢ / ١٩٧ - ١٩٩، والإتحاف ٢٧٤، ٢٧٥، قلت: وقراءة الباقين ببناء " زين " للفاعل، ونصب " قتل "، وخفض " أولادهم "، ورفع " شركاؤهم ".

وهذا مما يخالف القاعدة النحوية التى تفيد عدم الفصل بين المتضايفين إلا بالظرف فى الشعر، وهنا فى القرآن الكريم وفصل بينهما بالمفعول، فقوله " زين " مبنى لما لم يسم فاعله، ونائب الفاعل " قتلُ " و" شركائهم " بالجر مضاف إليه، و" أولاد " بالنصب على أنه مفعول القتل، وقد فصل به بين المضاف وهو " قتل "، والمضاف إليه وهو " شركاء "(١).

ومن ثم ردها فريق من النحاة والمفسرين وحكموا عليها بالبطلان ووصفوها بالقبح والرداءة وغير ذلك من أوصاف الضعف والشذوذ(٢) ؛ لأنها خالفت القواعد النحوية المألوفة والتى صنعها النحاة بأيديهم، ونظروا من خلالها إلى قراءات القرآن الكريم، فما وافق منها هذا القواعد قبلوه وأيدوه، وما خالفها ردوه ورموه بصفات الضعف والشذوذ كما رأيت، وهذا خطأ عظيم أوقعوا أنفسهم فيه، إذ كان عليهم أن يخضعوا هذه القواعد المستحدثة للقرآن ويعدلوها حسبما ورد به السماع فى أوثق وأصح كتاب عرفته البشرية وهو القرآن الكريم.

فالقراءة المذكورة صحيحة ومتواترة بالسند الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ وهى قراءة ابن عامر أعلى القراء السبعة سنداً وأقدمهم هجرة، وهو العربى الصريح المشهور بالثقة والأمانة والعلم وكمال الدين، أفنى عمره فى القراءة والإقراء، وأجمع علماء الأمصار على قبول نقله والثقة به، وكلامه حجة يستدل به اللغويون ؛ لأنه من عصور الاحتجاج، فكيف إذا روى قراءة ثابتة عن كبار الصحابة الذين تلقوا عن رسول الله ﷺ؟

ومن ناحية أخرى فإن مسألة الفصل بين المتضايفين مختلف فى جوازها ولم يتفق النحاة على منعها، فقد منعها بعضهم كجمهور البصريين، إذ لا تجوز عندهم إلا فى

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن ١ / ٢٦٢.

(٢) ينظر: الكشاف للزمخشرى ٢ / ٦٧، وحجة أبى على ٢ / ٢١٤، والكشف ١ / ٤٥٤.

ضرورة الشعر وأجازها البعض الآخر وهو الصواب لوردوها فى هذه القراءة الصحيحة الثابتة المنقولة بالتواتر والسند الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ.

ثم إن هذه القراءة ليس فيها ما يخالف فصاحة الكلام ولا الإعراب ؛ لأن مهمة الإعراب بيان معانى الكلمات ومواقعها، وإعراب الآية ظاهر لا لبس فيه، وليس فيها ما يخالف متعارف الاستعمال إلا الفصل بين المتضايفين بالمفعول والخطب فيه يسير ؛ لأن المفعول ليس أجنبياً عنها(١)، وقد استشهد لها العلماء بالعديد من الشواهد النثرية والشعرية، ومنها:

قول العرب: هو غلام إن شاء الله أخيك، فصل بينهما بـ" إن شاء الله "(٢).

وقول الشاعر:

فزججتها بمزجة زج القلوصَ أبى مزادة(٣).

أى زج أبى مزادة القلوص.

وغير ذلك من الشواهد على صحة القراءة المذكورة(٤)، والحقيقة أنها لا تحتاج إلى شاهد أهم من تواترها وصحة نقلها.

---

(١) دفع المطاعن عن قراءات الإمام ابن عامر. لأستاذنا الدكتور / سامى هلال. ١٤١ بتصرف.

(٢) ينظر: إبراز المعانى ٤٦٥ وغيره.

(٣) لم أقف له على قائل، وزججتها: طعنتها، والمزجة: الرمح القصير، والقلوص: الناقة الفتية.

والشاهد فيه: أنه فصل بالمفعول وهو القلوص بين المضاف والمضاف إليه، والأصل: زج أبى مزادة القلوص.

ينظر البيت فى: معانى الفراء ١ / ٣٥٨، وحجة أبى على ٢ / ٢١٥، وحجة أبى زرعة ٢٧٣، والموضح لابن أبى مريم ١ / ٥٠٧، والإتحاف ٢٧٥.

(٤) راجع تفصيل القول فى الدفاع عن هذه القراءة فى: الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين ١٠٤ – ١٦٥، ودفع المطاعن عن قراءات الإمام ابن عامر ١٢٦ – ١٤٣.

وللمزيد من الأمثلة، ينظر: المصدران السابقان وغيرهما.

أقول: وهى من أوضح الأدلة على اعتماد هؤلاء الأئمة على المشافهة والتلقى دون اعتبار آخر، ولولا ذلك لما خالف القراء تلك القواعد.

ومن أمثلة مخالفتها القواعد الصرفية:

ـ قراءة نافع بضم سين " ميسرة " من قوله تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾(١):

ومخالفة القاعدة الصرفية هنا فى مجيء هذه القراءة على " مفعُلة " وليس فى كلام العرب "مفعُلة " إلا حروف قليلة شاذة على حد تعبيرهم.

قال أبو جعفر النحاس(٢): " ميسَرة ـ بفتح السين ـ أفصح اللغات، وهى لغة أهل نجد، وميسُرة ـ بالضم ـ وإن كانت لغة أهل الحجاز فهى من الشواذ، لا يوجد فى كلام العرب مفعلة إلا حروف معدودة شاذة ليس منها شيء إلا يقال فيه مفعلة، وأيضاً فإن الهاء زائدة، وليس فى كلام العرب مفعُلٌ " البتة "، وقراءة من قرأ (إلى ميسُرة) لحن لا يجوز "(٣).

ونقول: إن كانت قراءة الفتح أفصح اللغات وأكثر فى الكلام وأشهر فى الاستعمال، فإن قراءة الضم لغة أهل الحجاز، وقرأ بها غير نافع كثير من القراء(٤)، وقد جاء فى كلام العرب " مفعُلة " بالضم فى نحو: المشرُقة والمشرُبة والمقبُرة(٥)، وإن كان الفتح أكثر

---

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٨٠.

قلت: وقراءة الباقين بالفتح. التجريد ٢٠، والنشر ٢ / ١٨٧، والإتحاف ٢١٢، ٢١٣.

(٢) هو أحمد بن محمد بن إسماعيل المصرى، أبو جعفر النحاس، مفسر، أديب، كان من نظراء نفطويه وابن الأنبارى، له " معانى القرآن "، إعراب القرآن "، توفى سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٨هـ) ينظر: بغية الوعاة ١ / ٣٦٢، والأعلام ١ / ٢٠٨.

(٣) إعراب القرآن له ١ / ١٣٩، وينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ٣٤٥.

(٤) أعنى من غير العشرة، كمجاهد وابن محيصن وشيبة وعطاء وغيرهم.

(٥) المشرقة: بالضم والفتح والكسر: الموضع الذى تشرق عليه الشمس، والمشربة: بالضم: الغرفة، والمقبرة بالفتح والضم: واحدة المقابر. ينظر: لسان العرب(ش ر ق، ش ر ب، ق ب ر).

وأشهر(١)، إضافة إلى هذه القراءة ـ أعنى قراءة الضم ـ قد تواتر نقلها وصح سندها، فلا يجوز ردها لمجرد مخالفتها قاعدة صرفية، إذ لا يشترط فى صحة القراءة وثبوتها أن تأتى على الأفشى فى العربية أو الأقيس فى القواعد التى وضعها أهل العربية، بل الشرط المعول عليه والمعتمد أن يصح سندها وأن تتواتر بنقل الثقات عن سيدنا رسول الله ﷺ حتى ولو كانت على لغة قليلة أو غير فاشية.

ـ وقراءة ابن عامر وشعبة وابن وردان وابن جماز بخلف عنه بإسكان نون " شنآن " من قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾(٢).

وقياس القاعدة الصرفية أن المصادر مما أوله مفتوح يأتى أكثرها محركاً.

قال أبو جعفر النحاس: " وأنكر أبو حاتم(٣) وأبو عبيد " شنآن " بإسكان النون لأن المصادر إنما تأتى فى مثل هذا متحركة، وخالفهما غيرهما، وقال: ليس هذا مصدراً ولكنه اسم فاعل على وزن كسلان وغضبان "(٤).

قلت: ومجيء الأكثر من المصادر فى مثل هذا محركاً لا يمنع مجيئ بعضها ساكناً، فيجوز أن يكون " شنآن " بسكون النون مصدراً(٥) نحو: لَويتُه لَيَّاناً، فليَّان مصدر على فعلان(٦)، والمعنى لا يجرمنكم بغض قوم أن تعتدوا، أى: لا يكسبنكم بغض قوم ؛ لأن

(١) ينظر: الكشف ١ / ٣١٩، والموضح ١ / ٣٥١، والإتحاف ٢١٢، ٢١٣.

(٢) سورة المائدة، من الآيتين ٢ و٨.

قلت: وقراءة الباقين بفتحها ومعهم ابن جماز فى ثانى وجهيه. النشر٢/ ١٩٠، ١٩١، والإتحاف٢٥٠.

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان، أبو حاتم السجستانى، إمام البصرة فى النحو والقراءة واللغة والعروض، عرض على يعقوب الحضرمى، روى القراءة عنه محمد بن سليمان الزردقى وغيره، توفى سنة خمس وخمسين ومائتين (٢٥٥ هـ). ينظر: معرفة القراء ١ / ٤٣٥، ٤٣٦، وغاية النهاية ١ / ٣٢٠، ٣٢١.

(٤) إعراب القرآن له ٢ / ٧، وينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ٣٤٤.

(٥) لـ " شيء ". الكشف ١ / ٤٠٤.

(٦) السابق نفسه، والموضح ١ / ٤٣٥.

صدوكم عن المسجد الحرام الاعتداء، والمعنى: شنآنكم قوماً " أى: بغضكم قوماً، فأضاف إلى المفعول، كما قال تعالى: ﴿ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ(١) ﴾(٢).

هذا، وإن كان الأظهر فى الفتح أن يكون مصدراً والأظهر فى السكون أن يكون وصفاً(٣)، إلا أنه قد ثبت مجيء المصدر على " فَعْلان " بفتح الفاء وسكون العين وإن كان قليلاً، ومن ثم لا يجوز إنكار قراءة نقلت بالتواتر ؛ لأجل مخالفتها قاعدة صرفية، وليس شرطاً فى صحة القراءة أن تأتى على ما كان أكثر استعمالاً أو فشواً فى القواعد الصرفية، بل تأتى كذلك على قلة(٤)، ومجيؤها كذلك من أوضح البراهين على صحة النقل واتباع الأثر فى القراءات القرآنية دون النظر إلى الأقيس فى العربية(٥).

ومن أمثلة مخالفتها الأصل اللغوى:

" اتفاق الأئمة العشرة على القراءة بالهاء(٦) فى لفظ " هذه " حيث كان، نحو قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾(٧).

وفى هذه القراءة مخالفة للأصل اللغوى، إذ ليس فى كلام العرب هاء تأنيث قبلها كسرة غيرها، وذلك لأن أصلها الياء، وقد قرئ به شاذاً(٨).

وعن هذه القراءة الشاذة يقول ابن جنى " هذا هو الأصل فى هذه الكلمة وإنما الهاء فى

---

(١) سورة فصلت، من الآية ٤٩.

(٢) الموضح ١ / ٤٣٥.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٣ / ٤٣٦.

(٤) ينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ٣٤٥.

(٥) للمزيد من الأمثلة، ينظر المصدر السابق ٣٤٢ – ٣٥٠.

(٦) أى بعد الذال.

(٧) سورة البقرة، من الآية ٣٥.

(٨) أى بكسر الذال من غير هاء، وهى قراءة ابن محيصن. ينظر: المحتسب ١ / ٢٤٤، وشواذ القراءات للكرمانى ل ٢٣، والمبهج ٢ / ٢٨، والتقريب والبيان ١ / ١٨٦، وإيضاح الرموز ٢٦٨

(ذه) بدلاً من الياء فى (ذى) يدل على الياء الأصل قولهم فى المذكر، " ذا " فالألف فى ذا بدل من الياء فى (ذى)، وأصل ذا عندنا ذيٌّ، وهو من مضاعف الياء مثل حىّ، فحذفت الياء الثانية التى هى لام تخفيفاً فبقى ذىْ، قال لى أبو على: فكرهوا أن يشبه آخرُه آخر كَىْ وأَىَ، فأبدلوها ألفاً كما أبدلت فى باءَس وبايَس، ويدل على أن أصل ذا ذيٌّ وأنه ثلاثى جواز تحقيره فى قولك: ذَيَّا، ولو كان ثنائياً لما جاز تحقيره كما لا تحقر (ما) و(مَن) لذلك"(١).

وأوضح مكى(٢) أيضاً أن الهاء فى هذه بدل من ياء، وهى للتأنيث، ومن أجل أنها بدل من ياء انكسر ما قبلها، وبقيت بلفظ الهاء فى الوصل، وليس فى كلام العرب هاء تأنيث قبلها كسرة، ولا هاء تأنيث تبقى بلفظ الهاء فى الوصل غير " هذه " أصلها "هذى"(٣) وإلى ذلك أيضاً أشار غيره من العلماء(٤).

فمع أن القراءة الشاذة هى الأصل من حيث اللغة، إلا أنها تركت ولم يقرأ بها لمخالفتها الأثر وما أجمع عليه القراء، ومع أن قراءة الجماعة مخالفة للأصل اللغوى، إلا أنها تواترت ونقلت بالسند الصحيح عن سيدنا رسول الله ﷺ، ومن ثم صارت قراءة ثابتة مقبولة بإجماع القراء، وهذا أدل دليل على أن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول، لا تخضع للقياس اللغوى ولا يقرأ بها عن أحد مهما بلغ من اللغة والفصاحة، إلا إذا واقفت قراءته السماع والمشافهة عند أهل الفن، ولولا اتباع الأثر وتمسك الأئمة

(١) المحتسب ١ / ٢٤٤.

(٢) هو مكى بن أبى طالب بن حموش القيسى، قرأ على أبى الطيب بن غلبون وغيره، وقرأ عليه موسى بن سليمان اللخمى وغيره، له التبصرة والكشف والرعاية وغيرها، توفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة (٤٣٧هـ)، ينظر: معرفة القراء ٢ / ٧٥١، ٧٥٢، وبغية الوعاة ٢ / ٢٩٨.

(٣) ينظر: مشكل إعراب القرآن ١ / ٣٠٨.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١ / ٤٦، والكشاف للزمخشرى ٢ / ٩٠، والدر المصون ١/ ١٩١.

بالنقل والرواية لما كان فى قراءتهم ما يخالف الأصل اللغوى(١).

هذا، وإن كان الحرف المذكور مما اتفق الأئمة القراء على قراءته بما يخالف الأصل اللغوى، فمن أمثلة ما اختلفوا فيه من ذلك:

- لفظ (الصراط) حيث وقع فى القرآن الكريم معرفاً أو منكراً.

اختلف القراء فى قراءته بين السين والصاد وإشمام الصاد صوت الزاى(٢).

قال مكى: " وحجة من قرأ بالسين أن السين فى هذا هو الأصل، وإنما أبدل منها صاداً لأجل الطاء التى بعدها، فقرأها على أصلها، ويدل على أن السين هو الأصل أنه لو كانت الصاد هى الأصل لم ترد إلى السين لضعف السين، وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف، وإنما أصولهم فى الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى أبداً.

وحجة من قرأ بالصاد أنه اتبع خط المصحف، وأن السين حرف مهموس فيه تَسَفُّل، وبعدها حرف مُطْبَق مجهور مستعلٍ، واللفظ بالمطبق المجهور بعد المستفل المهموس فيه تكلف وصعوبة، فأبدل من السين صاداً لمؤاخاتها الطاء فى الإطباق والتصعد، ليكون عمل اللسان فيهما واحداً، فذلك أسهل وأخف.

وحجة من قرأ بين الصاد والزاى أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء فى الجهر أشم الصاد لفظ الزاى للجهر الذى فيها.

وحجة من قرأ بين الصاد والزاى أنه لما رأى الصاد فيها مخالفة للطاء فى الجهر أشم الصاد لفظ الزاى للجهر الذى فيها، فصار قبل الطاء حرف يشابهها فى الإطباق وفى الجهر اللذين هما من صفة الطاء "(٣).

---

(١) ينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ١٥٨.

(٢) تقدم بيان هذه القراءات فى الدليل الثالث.

(٣) الكشف ١ / ٣٤ بتصرف.

فأصل هذه الكلمة السين، من السرط وهو البلع(١)، وقد قرئ به متواتراً عن بعض القراء.

لكن لم تقتصر الرواية فى هذه الكلمة على ما يوافق أصلها اللغوى، وإنما روى فيها قراءتان أخريان كلتاهما ثابتة بالتواتر، وهما قراءة الصاد وقراءة الإشمام، بل إن قراءة الصاد قرأ بها أكثر القراء وعليها جمهور العرب(٢).

وهذا من الأدلة على أن الركن الأهم والمرتكز الأصيل عند الأئمة القراء إنما هو التلقى والمشافهة واتباع الأثر، ولولا ذلك لكان من الممكن أن يتفق القراء فى مثل هذا الحرف على القراءة بما يوافق أصله اللغوى، أو حتى بما يخالفه، لكن كل واحد منهم تمسك بما رواه عن شيوخه واقتصر على ما ثبتت روايته لعلمه أن القراءة سنة متبعة.

ومن أمثلة مخالفتها اللهجات العربية المشهورة:

- قراءة نافع بكسر سين (عسيتم) من قوله تعالى:

﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ﴾(٣)

جاءت هذه القراءة على لغة قليلة لبعض العرب، ومن ثم ردها بعض العلماء محتجين بأن القراءة بأشهر اللغتين أولى، فقد حكى أبو جعفر النحاس قول أبى حاتم السجستانى " ولا وجه لعسيتم بكسر السين، وقد قرأ الحسن(٤) به ونافع وطلحة بن مصرف(٥)،

---

(١) ينظر: الموضح ١ / ٢٣٠، والإتحاف: ١٦٣.

(٢) ينظر: الكشف ١ / ٣٤.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢٤٦، ومثله موضع سورة محمد ﷺ ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ ﴾ من الآية ٢٢.
قلت: وقراءة الباقين بالفتح فى الموضعين. التيسير ٦٩، والنشر ٢ / ١٧٣، والإتحاف ٢٠٧.

(٤) هو الحسن بن أبى الحسن أبو سعيد البصرى، إمام زمانه علماً وعملاً، قرأ على حطان الرقاشى وغيره، وقرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وغيره، توفى سنة عشر ومائة (١١٠هـ) ينظر: معرفة القراء ١ / ١٦٨، ١٦٩، وغاية النهاية ١ / ٢٣٥.

(٥) هو طلحة بن مصرف بن عمرو الكوفى المقرئ، قرأ على يحيى بن وثاب وغيره، وقرأ عليه عيسى بن عمر=

ولو كان كذلك لقرئت " فعسى الله "(١) ثم قال: " وحكى يعقوب بن السِّكيت(٢) وغيره أن " عسيت " لغة، ولكنها لغة رديئة، فإذا قال " عسى الله " ثم قال: فهل عسيتم " استعمل اللغتين جميعاً، إلا أنه ينبغى له أن يقرأ بأفصح اللغتين وهى فتح السين ".

وقال أبو عبيد: " القراءة عندنا هى الفتح لأنها أعرف اللغتين، ولو كان " عسيتم " لقرئت ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ﴾(٣) وما اختلفوا فى هذا الحرف "(٤).

وقال ابن أبى مريم(٥) " القراءة بفتح السين هى المختارة ؛ لأن اللغة الفصيحة المشهورة وهى " عَسَيْتُ " بالفتح، وعَسِيتُ بالكسر لغة رديئة يكرهها الفصحاء، وإن كانت لغة لبعض العرب "(٦).

أقول: " وإذا كان فتح السين فى هذا الحرف هو اللغة المشهورة فإن الكسر أيضاً لغة فيه، ولم يخرج عن كلام العرب وإنما ورد عنهم، ولو كان على لغة قليلة، فقد قالت العرب: " عَسِيتُ أن أفعل، وعَسَيْتُ "(٧).

=الهمدانى وغيره، توفى سنة اثنتى عشرة ومائة (١١٢ هـ) ينظر: معرفة القراء ١ / ٢١١، ٢١٢، وغاية النهاية ١ / ٣٤٣.

(١) سورة المائدة، من الآية ٥٢.

(٢) هو يعقوب بن إسحاق أبو يوسف بن السكيت، إمام فى اللغة والأدب، أخذ عن الفراء وابن الأعرابى وغيرهما، صنف الكثير فى النحو ومعانى الشعر، توفى سنة أربع وأربعين ومائتين (٢٤٤هـ)، ينظر: بغية الوعاة ٢ / ٣٤٩، والأعلام ٨ / ١٩٥.

(٣) سورة القلم من الآية ٣٢.

(٤) حكاه عنه أبو زرعة فى حجته ١٣٩، ١٤٠.

(٥) هو نصر بن على بن محمد المعروف بابن أبى مريم الفارسى النحوى، قرأ على تاج القراء محمود بن حمزة، وروى القراءة عنه مكرم بن العلاء بن نصر الغالى، توفى بعد سنة خمس وستين وخمسمائة (٥٦٥هـ) ينظر: معجم الأدباء ١٩ / ٢٢٤، ٢٢٥، وغاية النهاية ٢ / ٣٣٧

(٦) الموضح ١ / ٣٣٥.

(٧) حجة أبى زرعة ١٣٩.

قال مكى: " والكسر لغة فى عسى إذا اتصل بمضمر خاصة، وقد حُكى فى اسم الفاعل " عَسِى " فهذا يدل على كسر السين فى الماضى "(١) ثم ذكر أن الفتح فيها هو اللغة الفاشية، وعليها أجمع القراء ونافع معهم إذا لم يتصل الفعل بمضمر(٢)، ثم إن قراءة الكسر لم ينفرد بروايتها نافع، فقد قرأ بها الكثير من القراء من غير الأئمة العشرة(٣)، لكنها لم تتواتر إلا عن نافع من العشرة.

فهل يصح بعد هذا أن تُنكر هذه القراءة أو أن يقال: إنها لغة ردئية ؟ كيف وقد نزل بها القرآن وهو أفصح وأوثق وأصح كتاب، ونطق بها أفصح العرب ﷺ(٤)؟.

هذا إضافة إلى ما هو مقرر من توقيفية القراءات وكونها سنة متبعة لا تخضع لرأى ولا قياس ولا يعتمد فى نقلها على الشهرة فى اللغة أو الكثرة فى الاستعمال، بل على المشافهة والتلقى والنقل المتواتر عن سيدنا رسول الله ﷺ، ومتى ثبتت القراءة بالنقل المتواتر وجب قبولها والمصير إليها سواء أكانت على لغة كثيرة أم قليلة، مشهورة أم غير مشهورة.

- وقراءة ابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب وخلف بضم سين (سوى) من قوله تعالى:

﴿ لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴾(٥)

فقد خالفت هذه القراءة أيضاً ما اشتهر من لغات العرب.

---

(١) الكشف ١ / ٣٠٣.

(٢) السابق نفسه.

(٣) كالحسن وطلحة بن مصرف وغيرهما، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٢٥، وغيره.

(٤) ينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ٣٢٢.

(٥) سورة طه، من الآية ٥٨.

قلت: وقراءتهم بضم السين والتنوين، وقراءة الباقين بكسرها مع التنوين، وكل على أصله فى الوقف، فأماله حمزة والكسائى وخلف وشعبه بخلف عنه، وقلله الأزرق، وفتحه وقلله أبو عمرو. الإتحاف ٣٨٤، وينظر: النشر ٢ / ٢٤٠، والميسر ٣١٥.

قال النحاس: " وقرأ الكوفيون (سوى) بضم السين، والكسر أشهر وأعرف[1].

وقد قرأ أبو عبيد بقراءة الكسر واختارها ؛ لأنها اللغة العالية الفصيحة[2].

أقول: وقراءة الضم أيضاً قرأ بها واختارها جماعة من القراءة العشرة وغيرهم، وتواتر نقلها، وجاءت على لغة من لغات العرب وإن لم تكن فى شهرة اللغة الأخرى، فهى لم تخرج عن كلام العرب، إذ الضم والكسر فى هذا الحرف لغتان مثل " طِوى وطُوى "[3].

قال الفراء[4]: " والكسر والضم ـ أى فى سوى ـ عربيَّان "[5].

فمخالفة لهجات العرب المشهورة لا يقدح فى صحة القراءة إذا ثبتت بالنقل المتواتر، إذ القراءة الصحيحة المتواترة قد تأتى على لهجة قليلة أو غير مشهورة كما رأيت ؛ لأن القياس لا دخل له فى القراءة، والقراءة لا تخضع للأشهر فى اللغة ولا الأكثر فى الاستعمال، وإنما العمل فيها إنما هو على الأثبت فى الأثر والأصح فى النقل، ولولا ذلك لما خالف الأئمة القراء ما اشتهر من لهجات العرب فى بعض قراءاتهم.

الدليل السادس: مخالفة بعض الأئمة القراء مذاهبهم فى العربية فى بعض الحروف:

لما كانت القراءة سنة متبعة، وكان العمل عند أئمة القراءة على اتباع الأثر دون اعتبار

---

(١) إعراب القرآن له ٣ / ٣٤.

(٢) اختيارات الإمام أبى عبيد القاسم بن سلام ومنهجه فى القراءات، للدكتور / محمد بن موسى بن حسين ٣٢٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ١١ / ٢٢٥، وقواعد نقد القراءات القرآنية ٣٢٣.

(٣) ينظر: الكشف ٢ / ٩٨، والموضح ٤ / ٨٣٤.

(٤) هو يحيى بن زياد عبد الله بن منظور الديلمى، أبو زكريا، أبرع الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، أخذ النحو عن أبى الحسن الكسائى، وروى الحروف عن أبى بكر بن عياش وغيرهم، وقرأ عليه سلمة بن عاصم وغيره، توفى سنة سبع ومائتين (٢٠٧ هـ) ينظر: إنباه الرواة ٤ / ٥، وغاية النهاية ٢ / ٣٧١ – ٣٧٢.

(٥) معانى القرآن له ٢ / ١٨٢.

وللمزيد من أمثلة مخالفة القراءة ما اشتهر من لهجات العرب. ينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ٣١٩ – ٣٢٤.

الأقيس فى اللغة أو الأكثر اشتهاراً كان من نتيجة ذلك أن تمسك كل إمام بما نقله عن أئمته ورواه عن شيوخه وإن خالفت روايته مذهبه فى العربية، حتى ولو كان فيها إماماً كبيراً يرحل إليه ويؤخذ عنه وله فى النحو مذهب خاص اشتهر به، ومن أمثلة ذلك:

- قراءة أبى عمرو البصرى بإدغام الراء فى اللام من قوله تعالى:

﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ ﴾(١) وما شاكله فى القرآن الكريم.

قال ابن خالويه: " وأدغم أبو عمرو وحده الراء فى اللام من " يغفر لكم " وما شاكله فى القرآن، وهو ضعيف عند البصريين "(٢).

وقال مكى: " وأما الراء فى اللام فقبيح عند سيبويه والبصريين ؛ لأنك تذهب التكرير الذى فى الراء عند الإدغام فيضعُف الحرف، وأدغمه أبو عمرو وحده "(٣).

- وقراءته أيضاً بإدغام الشين فى السين من قوله تعالى:

﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾(٤).

قال ابن سيده(٥): " وأما الشين فأدغمت فى السين، روى عن أبى عمرو ذلك فى

---

(١) سورة البقرة، من الآية ٥٨، ومثله: (ينشر لكم) الكهف: ١٦، (اشكر لى) لقمان: ١٤ وغيرهما.

قلت: وقراءة الإدغام المذكورة بخلف عن الدورى، وبالإظهار قرأ الباقون ومعهم الدورى فى ثانى وجهيه. النشر ٢ / ١١، والإتحاف ١٨٠.

(٢) الحجة له ٣١، وينظر: القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين: ٨٩.

(٣) الكشف ١ / ١٥٧.

(٤) سورة الإسراء، من الآية ٤٢.

قلت: وقراءة الإدغام هنا لأبى عمرو بخلف عنه، وبالإظهار قرأ الباقون ومعهم أبو عمرو فى وجهه الثانى. النشر ١ / ٢٣، والإتحاف ٣٥.

(٥) هو أبو الحسن على بن إسماعيل المرسى الضرير، المعروف بابن سيده، إمام فى اللغة وآدابها صاحب كتاب المحكم فى لسان العرب، أخذ اللغة عن أبيه وعن صاعد بن الحسن، توفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (٤٥٨هـ) ينظر: سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٤٤، ١٤٥. والأعلام ٤ / ٢٦٣.

قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾ والبصريون لا يجيزون ذلك عن أبى عمرو، وهو رأس من رءوس البصريين "(١).

فمع أن أبا عمرو من البصريين، بل ومن كبار نحويي البصرة، وهو عربي صريح وله مذهبه فى النحو، لكنه خالف مذهبه النحوى فى مثل هذين الحرفين، وتمسك بما روى عن الشيوخ وثبت نقله عن الأئمة، لا لشيء إلا لعلمه أن القراءة سنة متبعة، وأن الاعتماد فيها إنما هو على النقل والرواية دون القواعد والدراية، فهو الذى قال: " لولا أنه ليس لى أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا كذا "(٢).

وكذلك ورد عن الكسائى مثل ما ورد عن أبى عمرو، إذ كانت قراءته فى بعض المواضع تخالف مذهبه فى النحو(٣)، فلو كان للرأى والقياس مدخل فى القراءة لكان من الممكن أن يقرأ كل إمام بما يوافق مذهبه فى العربية، ولكن ذلك لم يحدث ؛ لأن المعتمد والمعول عليه الأول عند هؤلاء الأئمة هو الرواية والمشافهة وافقت مذاهبهم فى العربية أو خالفتها.

الدليل السابع: دلالة بعض القراءات على معان يوهم ظاهرها الإشكال:

" إن الناظر فيما ثبت عن أئمة القراءة من صور قرائية فى حروف القرآن الكريم يرى أن بعض هذه الصور قد يفهم منه معان مشكلة(٤) فيها من الخفاء وعدم الوضوح ما

---

(١) إعراب القرآن له ١ / ٢٨٥.

(٢) ينظر: السبعة ٨٢، والنشر ١ / ٢١.

(٣) ينظر: القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين: ٨٩.

(٤) المشكل: هو كل نص شرعى استغلق وخفى معناه أو أوهم معارضة نص شرعى آخر. الأحاديث المشكلة الواردة فى تفسير القرآن الكريم، للدكتور / أحمد بن عبد العزيز بن مقرن القصير ١ / ٢٦.
وهو يشمل كل إشكال يطرأ على الآية، سواء كان فى اللفظ أم فى المعنى أو كان لتوهم تعارض أو توهم إشكال فى اللغة أو غير ذلك. السابق ٢ / ٢٤.

يحتاج إلى إعمال عقل وتأويل ووقوف على أقوال علماء اللغة وعلماء التفسير وغيرهم حتى يتوصل إلى معرفة المراد منها على الوجه الصحيح، ومع ذلك تواترت هذه الصور القرائية وثبت نقلها عن أئمة القراءة بالسند المتصل ؛ لأن القراءة متى ثبت نقلها بالتواتر وجب قبولها والأخذ بها دون النظر إلى غير ذلك من الاعتبارات كإشكال المعنى أو عدم إشكاله، ومن أمثلة ذلك:

- قراءة التخفيف فى لفظ (كذبوا) من قوله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾(١)

وهى لعاصم وحمزة والكسائى وأبى جعفر وخلف العاشر(٢)، فقد وقع فى معنى هذه القراءة إشكال عند البعض(٣)، وقد نتج هذا الإشكال عن فهمهم أن الرسل قد ظنوا عدم وقوع ما وعدوا به من النصر، وهذا مما ينافى الإيمان والعصمة.

ولكن قبل معرفة معنى هذه العبارة القرآنية نريد أولاً أن نشير إلى معناها اللغوى الوارد عن العرب، وهو أن عبارة " كُذِبَ فلان " بضم الكاف وكسر الذال مخففة معناها أن أحداً ما كَذَب على فلان هذا، أى: حدثه بحديث كاذب أو أبلغه خبراً كاذباً، وأما مع تشديد الذال فمعنى العبارة أن فلاناً هذا نسب إلى الكذب أو اتهم بأنه كذاب(٤).

وفى معنى قراءة التخفيف يقول الإمام البيضاوى(٥): " وظنوا أنهم قد كذبوا " أى

---

(١) سورة يوسف، من الآية ١١٠.

(٢) وبالتشديد قرأ الباقون. النشر ٢ / ٢٢٢، والإتحاف ٣٣٦.

(٣) ينظر: السابق نفسه.

(٤) ينظر: الرد على المستشرق اليهودى جولد تسيهر فى مطاعنه على القراءات القرآنية لأستاذنا الدكتور / محمد حسن جبل ١٢٦.

(٥) هو عبد الله بن عمر بن محمد أبو الخير ناصر الدين الشافعى البيضاوى، برع فى الفقه والتفسير والعربية، من مصنفاته: أنوار التنزيل ومختصر الكشاف، توفى سنة خمس وثمانين وستمائة (٦٨٥هـ) ينظر: طبقات المفسرين لمحمد بن على الداودى ١ / ٢٤٨.

كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بأنهم ينصرون، أو كذبهم القوم بوعد الإيمان، وقيل الضمير للمرسل إليهم، أى وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم بالوعد والوعيد، وقيل: الأول للمرسل إليهم والثانى للرسل، أى وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعد لهم من النصر وخلط الأمر عليهم، وما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله من النصر، إن صح فقد أراد بالظن ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة، هذا وإن المراد به المبالغة فى التراخى والإمهال على سبيل التمثيل "(١).

ومن ثم فلا يلزم أن يكون معنى هذه القراءة ظن الرسل أنهم قد كذبوا وأخلفوا فيما وعدوا به من النصرة.

وعلى فرض صحة هذا فإنه يوجه بأن الرسل بشر، فلما يئسوا من إيمان قومهم وطال البلاء عليهم ـ بلاء الكفر والعناد من أقوامهم مع عدم وقوع العذاب بالأقوام ظنوا ـ أى خامرت نفوسَهم الوساوس والخواطر بأن ما وعدوا به من النصر لن يقع(٢)، وجريان هذه الخواطر فى نفوس الرسل لا ينافى إيمانهم ولا عصمتهم، وفى القرآن الكريم شواهد كثيرة لوقوع مثل هذا من الرسل والصدِّيقين فى حالات الشدة، نحو قوله تعالى:

﴿ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾(٣).

﴿ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾(٤).

---

(١) أنوار التنزيل ٣/ ١٧٩.

(٢) ينظر: الرد على جولد تسيهر فى مطاعنه على القراءات ١٢٧، نقلاً عن جامع البيان للطبرى ١٦ / ٣٠٥، ٣٠٦.

(٣) سورة البقرة، من الآية ٢١٤.

(٤) سورة الأحزاب، من الآية ١٠.

﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾(١) وغير ذلك من الشواهد(٢).

هذا على أن المراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس فى القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية كما رأيت، وأما الظن الذى هو ترجيح أحد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين، فما بال رسل الله الذين هم أعرف الناس بربهم، وأنه متعال عن خلف الميعاد، منزه عن كل قبيح ؟(٣)

وأما قراءة التشديد فمعناها: ظن الرسل أنهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم(٤).

فمع مع رأيت من إشكال فى معنى قراءة التخفيف، لكنها ثبتت بالتواتر ونقلت بالسند الصحيح المتصل عن سيدنا رسول الله ﷺ ؛ لأن القراءة سنة يجب اتباعها، ولو كان الأمر على خلاف ذلك لما قرأ القراء بما يشكل معناه من قراءات، وهذا من جملة الأدلة على أن المعول عليه فى أمر القراءات إنما هو التوقيف واتباع الإسناد وليس الرأى والاجتهاد.

- وقراءة ضم التاء من لفظ (عجبت) فى قوله تعالى:

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾(٥):

وهى لحمزة والكسائى وخلف العاشر(٦) والإشكال هنا إنما هو فى إسناد العجب إلى

---

(١) سورة الأنبياء، من الآية ٨٧.

(٢) ينظر: الرد على جولد تسيهر فى مطاعنه على القراءات ١٢٩.

(٣) ينظر: الكشاف للزمخشرى ٢ / ٤٩٠.

(٤) السابق نفسه.

(٥) سورة الصافات، آية: ١٢.

(٦) وبفتحها قرأ الباقون. النشر ٢ / ٢٦٧، والإتحاف ٤٧٢.

الله تعالى، مما دفع البعض إلى إنكار هذه القراءة(١).

قال الفراء: " وقوله ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ قرأها الناس بنصب التاء ورفعها والرفع أحب إليّ لأنها قراءة عليّ وابن مسعود وعبد الله بن عباس، ثم ذكر بإسناده عن الأعمش(٢) أنه قال: قال شقيق(٣): قرأت عند شريح(٤) " بل عجبتُ ويسخرون " فقال: إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النَخَعيّ(٥) فقال: إن شريحاً شاعر يعجبهُ علمه، وعبد الله(٦) أعلم بذلك منه، قرأها (بل عجبتُ ويسخرون) ثم قال(٧): والعجب وإن أسند إلى الله فليس معناه من الله كمعناه من العباد، ألا ترى أنه قال: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾(٨) وليس السخريّ من الله كمعناه من العباد، وكذلك قوله ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾(٩) وليس ذلك من الله

(١) ينظر: معانى القرآن وإعرابه للزجاج ٤ / ٢٢٦، وقواعد نقد القراءات القرآنية ١٧٥.

(٢) هو سليمان بن مهران الأعمش الكوفى، أخذ القراءة عرضاً عن إبراهيم النخعى وغيره، أخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً حمزة الزيات وغيره، توفى سنة ثمان وأربعين ومائة (١٤٨هـ)، ينظر: معرفة القراء ١ / ٢١٤ – ٢١٩، وغاية النهاية ١ / ٣١٦، ٣١٧.

(٣) هو شقيق بن سلمة أبو وائل الكوفى، عرض على عبد الله بن مسعود، روى عنه الأعمش وغيره، توفى سنة اثنتين وثمانين (٨٢هـ). ينظر: غاية النهاية ١ / ٣٢٨.

(٤) هو شريح بن الحارث بن قيس الكندى، من أشهر القضاة الفقهاء فى صدر الإسلام، أصله من اليمن، ولى قضاء الكوفة فى زمن عمر وعثمان وعلى ومعاوية، كان ثقة فى الحديث، مأموناً فى القضاء، توفى سنة ثمان وسبعين (٧٨هـ) على خلاف. ينظر: وفيات الأعيان ٢ / ٤٦٠ – ٤٦٣، والأعلام ٣ / ١٦١.

(٥) هو إبراهيم بن يزيد بن قيس أبو عمران النخعى الكوفى، الإمام المشهور، قرأ على علقمة بن قيس وغيره، وعليه سليمان الأعمش وغيره. توفى سنة ست وتسعين (٩٦هـ) ينظر: غاية النهاية ١ / ٢٩، ٣٠.

(٦) يعنى ابن مسعود.

(٧) أى: الفراء.

(٨) سورة التوبة، من الآية ٧٩.

(٩) سورة البقرة، من الآية ١٥.

كمعناه من العباد، ففى ذا بيان لكسر قول شريح، وإن كان جائزاً ؛ لأن المفسرين قالوا: بل عجبتَ يا محمد ويسخرون هم، فهذا وجه النصب "(١).

وعلى ذلك فلا يلزم من إثبات العجب عدم العلم، إذ العجب من الله عز وجل خلافه من الآدميين(٢).

وأصل العجب فى اللغة أن الإنسان إذا رأى من ينكره قال: عجبتُ من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبتُ، والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذى يلزم به الحجة عند وقوع الشيء(٣).

ومن ثم فلا إشكال فى إبقاء التعجب هنا على ظاهره مسنداً إليه تعالى على ما يليق به منزهاً عن صفات المحدثين كما هو طريق السلف الأسلم الأسهل(٤)، وأما عن شريح فإنه قاض متفتح يعتز به الفكر الإسلامى، لكنه رغم مواهبه الموسوعية لم يصل فى القراءة إلى أن يُعَدّ من القراء، وأقصى قيمة لكلامه هنا أنه اختار قراءة من قراءتين صحيحتين ؛ لأن نفسه استراحت إليها، أو لأن معناها انسجم مع توازنه الفكرى، وذلك حقه ما دام لم يجحد القراءة الأخرى(٥).

فثبوت هذه القراءة ـ أعنى القراءة بضم التاء ـ مع ما ورد فى معناها من إشكال يعدّ من أوضح الأدلة على توقيفية القراءات القرآنية وتمسك الأئمة فيها بما صح نقله وثبتت روايته.

---

(١) معانى القرآن له ٢ / ٣٨٤، وينظر: قواعد نقد القراءات القرآنية ١٧٥، ١٧٦.

(٢) ينظر: معانى القرآن وإعرابه ٤ / ٢٢٦.

(٣) السابق نفسه.

(٤) الإتحاف ٤٧٢، وينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية، تأليف الدكتور / صالح الفوزان، ص: ١٠٤.

(٥) الرد على جولدتسيهر فى مطاعنه على القراءات ١٥٨.

الخاتمة

ونسأل الله حسنها

أحمد الله سبحانه وتعالى أن وفقنى وأعاننى ويسّر لى كتابة هذا البحث الذى أردت من خلاله تقرير وثاقة نقل القراءات القرآنية عن الأئمة القراء عن النبى ﷺ، والتأكيد على تمسك هؤلاء الأئمة بالرواية واتباع الأثر وعدم تجاوزهم ما ثبت نقله وصحت روايته من هذه القراءات، مستدلاً على ذلك بجملة من الأدلة.

وأودُّ هنا أن أذكر أهم النتائج التى خلصت إليها من هذا البحث وهى:

١- أن القراءة سنة متبعة لا يتوصل إليها إلا بالنقل الصحيح ولا تثبت إلا به، ولا مدخل فيها لرأى أو اجتهاد.

٢- أن القراءة متى ثبت نقلها بالسند الصحيح المتواتر وجب قبولها وحرم ردها أو إنكارها.

٣- أن القراءات قد نشأت بتعليم جبريل للرسول ﷺ، فهى وحى منزل من الحق تبارك وتعالى، كما أن القرآن الكريم كذلك.

٤- شدة حرص الأئمة القراء على اتباع أثر السابقين فى القراءة، ودقتهم فى نقل حروف القرآن وفق ما تلقوه عن شيوخهم، وتحرزهم عما لا تتم الثقة بروايته.

٥- أن نسبة القراءات إلى أئمة القراءة إنما هى نسبة اختيار وملازمة ودوام لا نسبة اختراع ورأى واجتهاد.

٦- أن مخالفة القراءة لصريح الرسم أو القواعد اللغوية أو المعانى الواضحة، كل أولئك لا يقدح فى صحتها إذا كانت ثابتة عن طريق السند الصحيح المتواتر.

٧- أن تحكيم القواعد اللغوية فى القراءات القرآنية أمر غير مقبول، إذ القراءة لا تتبع العربية بل العربية هى التى تتبع القراءة لثبوتها بالنقل المتواتر ؛ ولأنها مسموعة من أفصح العرب بإجماع، وهو نبينا ﷺ ومن أصحابه ومن بعدهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أهم المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

٢- إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع، لعبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبى شامة الدمشقى، تحقيق / إبراهيم عطوة عوض، ط. مصطفى البابى الحلبى بمصر.

٣- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، لشهاب الدين أحمد بن محمد الشهير بالبنا الدمياطى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٤- اختيارات الإمام أبى عبيد القاسم بن سلام ومنهجه فى القراءة، للدكتور / محمد ابن موسى بن حسين نصر، دار الحامد للنشر، عمان ـ الأردن، ط. الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

٥- إعراب القرآن لأبى جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٥هـ - ١٩٩٢م.

٦- إعراب القراءات الشواذ، لأبى البقاء العكبرى، دراسة وتحقيق / محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب، بيروت.

٧- الأعلام، لخير الدين الزركلى، دار العلم للملايين، بيروت. لبنان، ط. التاسعة ١٩٩٠م.

٨- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضى ناصر الدين البيضاوى، إعداد وتقديم / محمد عبد الرحمن المرعشلى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط. الأولى.

٩- إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز فى القراءات الأربع عشرة، لشمس الدين محمد ابن خليل القباقبى، دراسة وتحقيق د / أحمد خالد شكرى، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط. الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

١٠- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١١- التيسير فى القراءات السبع، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

١٢- جامع البيان فى القراءات السبع، لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى، جامعة الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ط. الأولى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

١٣- جمال القراء وكمال الإقراء لأبى الحسن على بن محمد السخاوى، دراسة وتحقيق / عبد الحق عبد الدايم سيف القاضى، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ط. الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩م.

١٤- جميلة أرباب المراصد فى شرح عقيلة أتراب القصائد، لبرهان الدين إبراهيم ابن عمر الجعبرى، دراسة وتحقيق / محمد خضير الزوبعى، دار الغوثانى للدراسات القرآنية، دمشق، سورية، ط. الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م.

١٥- الحجة فى القراءات السبع لأبى عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه، تحقيق / أحمد فريد المزيدى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٦- الحجة للقراء السبعة لأبى على الحسين بن أحمد الفارسى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

١٧- حجة القراءات لأبى زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق / سعيد الأفغانى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الخامسة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

١٨- الدفاع عن القرآن ضد النحويين والمستشرقين، للدكتور / أحمد مكى الأنصارى، دار المعارف بمصر ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

١٩- دفع المطاعن عن قراءات الإمام ابن عامر، للدكتور / سامى عبد الفتاح هلال ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٢٠- الرد على المستشرق اليهودى جولدتسيهر فى مطاعنه على القراءات القرآنية، للدكتور / محمد حسن جبل، ط. الثالثة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢١- رسم المصحف، دراسة لغوية تارخية، للدكتور / غانم قدورى الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن ط. الأولى ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٢- الروضة فى القراءات الإحدى عشرة، لأبى على الحسن بن محمد المالكى، تحقيق د / مصطفى عدنان محمد سليمان، الناشر، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، سوريا، ط. الأولى ١٤٢٤-٢٠٠٤م.
٢٣- السبعة فى القراءات، لأبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، تحقيق د / شوقى ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط. الثالثة.
٢٤- سمير الطالبين فى رسم وضبط الكتاب المبين، للشيخ/ على محمد الضباع، ملتزم الطبع والنشر / عبد الحميد حنفى، القاهرة، ط. الأولى.
٢٥- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تأليف الدكتور / صالح الفوزان، جمعية إحياء التراث الإسلامى، الكويت، ط. الثانية ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.
٢٦- صحيح البخارى، محمد بن إسماعيل، دار الحديث ـ القاهرة ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٢٧- صحيح مسلم بشرح النووى، لأبى زكريا يحي بن شرف النووى، دار الفجر للتراث، القاهرة، ط. الثانية ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
٢٨- صفحات فى علوم القرآن، للدكتور / عبد القيوم السندى، دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٩- غاية الاختصار فى قراءات العشرة أئمة الأمصار، لأبى العلاء الهمذانى العطار، تحقيق د / أشرف فؤاد طلعت، ط. الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة، السعودية، ط. الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.
٣٠- غاية النهاية فى طبقات القراء، لابن الجزرى، عنى بنشره ج. برجستراسر، الناشر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٣١- غيث النفع فى القراءات السبع للصفاقسى، تحقيق / جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٣٢- فتح الوصيد فى شرح القصيد، لعلم الدين السخاوى، تحقيق ودراسة د / مولاى محمد الإدريسى الطاهرى، مكتبة الرشد، الرياض، ط. الثانية ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٣- القراءات، أحكامها ومصدرها، للدكتور / شعبان محمد إسماعيل، دار السلام القاهرة، ط. الثانية ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٤- القراءات الشاذة، دراسة لنشأتها ومعاييرها، للدكتور / سامى عبد الفتاح هلال ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٣٥- القراءات فى نظر المستشرقين والملحدين للشيخ / عبد الفتاح القاضى، الشركة المصرية للطباعة والنشر ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٣٦- قواعد نقد القراءات القرآنية، دراسة نظرية تطبيقية، للدكتور / عبد الباقى بن عبد الرحمن سبيسى، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، السعودية، ط. الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
٣٧- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكى بن أبى طالب القيسى، تحقيق د / محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الخامسة ١٤١٨هـ- ٢٠٠٢م.

٣٨- لسان العرب، لجمال الدين محمد بن منظور، دار المعارف.
٣٩- لطائف الإشارات لفنون القراءات، لشهاب الدين القسطلانى، تحقيق الشيخ / عامر عثمان، ود / عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط. الأولى ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
٤٠- المبهج فى القراءات السبع، لعبد الله بن على المعروف بسبط الخياط البغدادى تحقيق / سيد كسروى حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٤١- المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبى الفتح عثمان ابن جنى، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٤٢- المدخل لدراسة القرآن الكريم، للشيخ / محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة ط. الثانية ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.
٤٣- معانى القرآن ليحي بن زياد الفراء، تحقيق د / عبد الفتاح شلبى، دار السرور
٤٤- معانى القرآن وإعرابه، لأبى إسحاق إبراهيم بن السرى الزجاج، تحقيق د / عبد الجليل شلبى، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.
٤٥- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، لأبى عبد الله الذهبى، تحقيق د/ طيار آلتى قولاج، منشورات مركز البحوث الإسلامية ـ استانبول تركيا، ط. الأولى.
٤٦- المقنع فى معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، لأبى عمرو الدانى، تحقيق محمد الصادق قمحاوى، الناشر. مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.
٤٧- مناهل العرفان فى علوم القرآن، للشيخ / محمد عبد العظيم الزرقانى، دار إحياء الكتب العربية (فيصل عيسى البابى الحلبى) القاهرة.
٤٨- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، لابن الجزرى، تحقيق د / عبد الحى الفرماوى،

الناشر مكتبة جمهورية مصر العربية، القاهرة، ط. الأولى ١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م.
٤٩- الموضح فى وجوه القراءات وعللها، لابن أبى مريم، دراسة وتحقيق د/ عمر حمدان الكبيسى، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط. الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
٥٠- النشر فى القراءات العشر، لابن الجزرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الثالثة ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
٥١- وثافة نقل النص القرآنى من رسول الله ﷺ إلى أمته، للدكتور / محمد حسن جبل، دار الصحابة للتراث بطنطا.
٥٢- الوسيلة إلى كشف العقيلة، لأبى الحسن على بن محمد السخاوى، دراسة وتحقيق د / نصر سعيد، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط. الأولى ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

ومن المخطوطات:

شواذ القراءات، لأبى عبد الله محمد بن أبى نصر الكرمانى، نسخة مصورة بمكتبة كلية القرآن الكريم بطنطا.

ومن الرسائل العلمية:

القراءة بين التواتر وصحة الإسناد، دراسة تحليلية، للدكتور / محمد مصطفى علوة

فهرس الموضوعات

المقدمة ١٥
التمهيد ١٨
معنى الأثر ١٨
تعريف القراءات ١٩
معنى نسبة القراءة إلى الأئمة القراء ٢١
المبحث الأول: مصدر القراءات والأصل فى اختلافها ٢٤
المبحث الثاني: الإسناد خصيصة من خصائص الأمة المحمدية ٢٨
المبحث الثالث: اتباع الأثر سمة من سمات التواتر ٣٠
المبحث الرابع: أدلة اتباع الأثر عند الأئمة القراء ٣٧
اختصاص القراءة فى بعض الحروف بمواضع معينة دون نظائرها ٣٧
اتفاق الأئمة القراء على قراءة واحدة فى الألفاظ المحتملة لقراءات متعددة ٤٦
قراءة بعض الحروف بما يخالف صريح رسمها فى كل المصاحف العثمانية ٥٠
مخالفة الأئمة القراء ورواتهم مصاحف بلدانهم ٥٧
مخالفة القراءة فى بعض الحروف للأفشى فى اللغة والأقيس فى العربية ٦٢
مخالفة بعض الأئمة القراء مذاهبهم فى العربية فى بعض الحروف ٧٥
دلالة بعض القراءات على معان يوهم ظاهرها الإشكال ٧٧
الخاتمة ٨٣
فهرس المصادر والمراجع ٨٤
فهرس الموضوعات ٩٠

* * *